محاولة إقناع العقل في الجدل النصراني المعاصر
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

أ.د. خالد بن محمد آل علي القرني

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة-كلية الشريعة
وأصول الدين-جامعة الملك خالد

ملخص البحث

يتناول هذا البحث البراهين النصرانية التي يستدل بها النصارى في العصر الحديث على صحة عقيدتهم في المسيح بين التثليث والتأليه، وصحة اعتقادهم بعصمة الكتاب المقدس؛ وذلك من خلال الحجاج الذي اجتهد في تقديمه عدد من الآباء والقديسين المسيحيين خلال المائة سنة المتأخرة، ومحاولة دراسة أدلتهم الفلسفية والخطابية والتاريخية التي يستندون إليها في تبرير صحة هذه العقائد؛ وكان من أهم ما خلص إليه البحث هو أن لا عمدة عقلية فلسفية يمكن للحجاج النصراني أن يقيمها على عقيدته في المسيح وعصمة الكتاب المقدس دون إعمال المصادرة على المطلوب وفقدان الدليل الأولي، كما أن الجدل النصراني يعمد إلى استخدام أسلوب الخطابة بصورةٍ مبالغٍ بها لم تنتج ما أرادوا الاستدلال له، وأن الجدل النصراني في استدلاله بالتاريخ يقوم على اضطرابٍ لا يراعي ضرورة تتابع السياقات وتواتر الروايات واتساقها؛ الأمر الذي أدى إلى اختلال المنهجية التي يعتمدها الجدل النصراني حين الاستدلال بالتاريخ كمسلَّمةٍ في جدله.

الكلمات المفتاحية: نقد النصرانية، الكتاب المقدس، التثليث، ألوهية المسيح، مقارنة الأديان.



Abstract

Keywords: Christianity Criticism, the Bible, the Trinity, the divinity of Christ, comparison of religions.

Abstract: This research treats the Christian evidences that Christians depend on in the modern era on the validity of their belief in Christ between the Trinity and the Divinity, and the validity of their belief in the infallibility of the Bible, through the arguments that a number of popes and saints have worked hard to present during the last hundred years, and the attempt to study their philosophical, rhetorical and historical evidences on which they rely in justifying the validity of these beliefs.

One of the most important results of this research is that there is no philosophical mentality that the Christian secular can on which establish his belief in Christ and the infallibility of the Bible without the confiscation of what is required and the loss of the initial evidence, and the Christian debate tends to use the rhetoric method in an exaggerated manner that did not lead to what they wanted. His narration, the Christian debate about history is based on a disorder that does not take in consideration the necessity of the sequence of contexts, the validity and the consistency of narratives; Which led to the disruption of the methodology adopted by the Christian debate when inferring history as defectless in his debate.



مُقَدِّمَة

إذا كان من المتقرر في بدائه العقل أنه ما من شيئين إلا وتجد بينهما قدراً مشتركاً، كما أن بينهما قدراً مميزاً به يتم التمايز وانتفاء التماثل المطلق من كل وجه = فإن من المتقرر في علم المناهج أن النقد العلمي يتجه -عند التحقيق- متى ما تناولت مدرسةً ما أو مذهباً أو اتجاهاً أو أيديولوجيا معينة إلى ما يكون به التمايز لا ما يكون به الاشتراك؛ ولذا فإن على الباحثين عند تناول قضيةٍ ما تجريدها عما تشترك فيه مع قضايا أخرى، وإبراز ما يميزها عن غيرها، ثم توجيه النقد إلى ذلك القدر المميز لا إلى المشترك.

وهذا البحث ينطلق من مسلَّمة لدى الباحث تقول بأن هناك فرضيتين رئيستين تقوم عليهما صورة المسيحية في جدل علمائها المعاصرين، ألا وهما:

- حقيقة المسيح بين التثليث ودعوى الألوهية.
- صحة الكتاب المقدس.

ولهذا -من وجهة نظرنا- نجد الجهد الأكبر في محاولة إقناع العقل في الجدل النصراني المعاصر يركز على هاتين القضيتين. وعين المتأمل لا تخطيء الاجتهاد الملحوظ في الجدل النصراني لصالح هاتين الفرضيتين، ومحاولة إيجاد كافة السبل التي تسكبها في قوالب المنطق والقبول العقلاني وربطها ما أمكن بلغة البرهنة المعاصرة. وهي محاولات نلحظ نشاطها وتواليها واستمراريتها الفعلية خصوصاً في المائة عام الأخيرة. وهذا الواقع يفرض الحاجة إلى الاهتمام بطبيعة هذا الخطاب، وفحص أدلته وتحليلها ومناقشتها؛ من خلال تتبع النتاج البحثي الذي يحاول إثبات تلكما الفرضيتين الرئيستين، وتحليل أبرز دعائم هذه الدراسات، والتساؤل عن إمكان التثبت من مدى منطقية هذه العقائد؟ وهل يمكن أن يكون العقل متسقاً مع ذاته وهو يقرر تلك المعتقدات؟

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في السؤال المحوري: **هل تَمَكَّنَ الخطابُ النصراني المعاصر من البرهنة على هاتين الفرضيتين الأساسيتين: حقيقة المسيح، وصحة الكتاب المقدس؟** وقد تفرع عن هذا السؤال المحوري بعض الأسئلة الفرعية وهي:

- ما الأدلة العقلية الفلسفية التي يقدمها الخطاب النصراني المعاصر للبرهنة على هذه العقائد؟
- وما الأدلة الخطابية التي يقدمها الخطاب النصراني المعاصر على هذه المعتقدات؟
- وما الأدلة التاريخية التي يقدمها الخطاب النصراني المعاصر للإقناع بصحة هذه العقائد؟
- ثم ما هو الموقف النقدي من استدلالات هذا الحجاج؟ وهل أثمرتْ صحةَ هذه المعتقدات؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- كون الدين المسيحي هو الديانة الأكثر انتشاراً اليوم، وكون الطاقات المسخرة لنشره تقف وراءها الكثير من الدول الكبرى، والعديد من المؤسسات الدولية الكبيرة، وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه؛ فكان لزاماً بيان الحق في هذه القضايا الكبرى، بما يكون أكثر إقناعاً لأتباع هذه الديانة الرئيسة.

٢- ما لهذه المحاولة التي يقدمها الخطاب النصراني المعاصر من أثر في إقناع طوائف من النصارى؛ فكان لزاماً تحليل هذا الخطاب وفق المنهج العلمي؛ لتُعلم مكانتُه الحقيقية، ومدى قربه، أو بعده عن البرهان من جهة، والمنهج العلمي من جهة أخرى.

٣- ضرورة الكشف عن حقيقة هذه العقائد بما يتوافق مع العقل، وما جاء به القرآن الكريم باعتباره شاهداً وأميناً على ما في هذه الديانة من الحق.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق هدفين رئيسين:

١- إبراز المحاولة التي يقدمها الخطاب النصراني المعاصر لإقناع العقل بالعقائد النصرانية الكبرى ("التثليث/ ألوهية المسيح" و"صحة الكتاب المقدس") من خلال: الخطاب البرهاني تارة، والخطابي تارة أخرى، والتاريخي تارة ثالثة.

٢- تحليل هذه المحاولة الإقناعية للعقل النصراني المعاصر ونقدها.

منهج البحث:

بغية تحقيق أهداف البحث استخدمت المنهج الاستقرائي؛ لجمع الأدلة. كما استعملت المنهج التحليلي؛ من أجل تحليل هذه الأدلة، وفحصها وفق المنهج العلمي. كما استخدمت المنهج النقدي في نقد هذه المرتكزات المنهجية في الحجاج النصراني المعاصر، على ضوء المنهج العلمي الذي نراه مشتركاً إنسانياً يمكن الارتكاز عليه عند تناول مثل هذا النوع من الدراسات.

الدراسات السابقة:

ليست دراسة النصرانية أمراً جديداً على مجال البحث العقدي، وقد تناول علماء الإسلام منذ القدم العقائد النصرانية بالفحص والتمحيص والرد، ولكن بحثي يتناول بالتحليل محاولات إقناع العقل في الجدل اللاهوتي النصراني المعاصر خلال المئة سنة الأخيرة، ولم أقف على بحث يتعلق بهذا.

حدود البحث:

يتناول البحث العقائد النصرانية البارزة المتمثلة في "التثليث/ تأليه المسيح -عليه السلام-"، إلى جانب "عصمة الكتاب المقدس" باحثاً عن أهم البراهين المذكورة وأبرزها في الكتب الحديثة -التي تعتني الكنائس بتصديرها في معارض الكتب الدولية، بحسب ما وقفت عليه من خلال زيارتي لهذه المعارض- التي أنتجها علماءُ النصارى المعاصرون وفلاسفتُهم المتفقون على التثليث/ تأليه المسيح، وصحة الكتاب المقدس، مقسماً الأدلة إلى: عقلية فلسفية، وخطابية، وتاريخية، مناقشاً إياها مناقشةً تحليليةً ناقدة.

تبويب البحث: قسمت البحث إلى:

مقدمة وتحتوي على: مشكلة الدراسة، وأهمية البحث، والأهداف، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، والتبويب.

التمهيد ويحتوي على: شرحٍ موجز للعقائد التي يستهدفها البحث، وقول الإسلام فيها.

المبحث الأول: الأدلة العقلية الفلسفية التي يوردها النصارى المعاصرون في البرهنة على حقيقة المسيح وصحة الكتاب المقدس

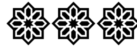
المبحث الثاني: الأدلة الخطابية التي يوردها النصارى المعاصرون في البرهنة على حقيقة المسيح وصحة الكتاب المقدس.

المبحث الثالث: الأدلة التاريخية التي يوردها النصارى المعاصرون في البرهنة على حقيقة المسيح وصحة الكتاب المقدس.

خاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المراجع.

وهذا أوان الشروع في المقصود فيارب يسر وأعن يا كريم.



تمهيد

لابد لنا قبل دراسة الجدل النصراني المعاصر في محاولته للبرهنة عن تلكم الفرضيتين التي أشرنا لهما في المقدمة أن نعمد إلى عرضٍ مختصرٍ لمضمونِ عقائد الإيمان المسيحي فيما سنتناوله بالتحليل في هذا البحث، والإشارة إلى رأي الإسلام فيها، وهي -كما سيتبين معنا- تتلخص في:

أولاً: عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام.

وثانياً: عقيدة النصارى في صحة الكتاب المقدس.

فيما يتعلق بالأمر الأول فإن النصارى يعتقدون في المسيح عيسى ابن مريم -عليه السلام- الألوهية، فهو الإله المتنزل في صورةٍ بشرية؛ حيث تَنَزَّل للتكفير عن خطايا البشر بالتجسد في صورة إنسان، وهذه الصورة هي أحد أقانيم الألوهية الثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس، وهذا الاعتقاد يمثل ركناً أصيلاً في الإيمان المسيحي؛ (**بهذا تعرفون روح الله: كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فليس من الله**) (يوحنا الأولى ٤: ٢-٣). وبحسب العقيدة النصرانية فإن تجسد المسيح في الصورة الإنسانية/ الطبيعة الناسوتية لا يعني وجوداً بعد أن لم يكن؛ حيث إن "**أساس التجسد الكلمة الأزلي، المساوي للآب في الجوهر**"(١) (**والكلمة صارَ جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجدهُ، مجداً كَمَا لِوَحِيدٍ من الآبِ مملوءاً نعمة وحقاً**) (يوحنا:١)؛ ولذا فإن الأقانيم غير مُنفصلة في الإيمان المسيحي، فهي أوجه لشيء واحد و" **أقنوم الابن هو ذات صورة الله، أو بالحري هو المعلن لله أو الله معلناً لأنه لا يعلن ذات الله إلا الله**"(٢).

لكن إلى جانب قداسة يسوع المسيح هذه نجد أن الجدل النصراني لصالح التجسد يؤكد على الطبيعة الإنسانية ليسوع؛ فهو يملك عقلاً وإرادةً إنسانيةً تجعله يتعلم ويأمل كما يتألم ويعتريه الضعف كأي إنسان!، وفي تفسيرهم لهذه الطبيعة الأخرى للمسيح يقولون بأن هذه

(١) المسيح من هو؟ طبيعة شخصه وعمله الكفاري، ص٢٥٢.

(٢) الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص٦٠.

الصورة البشرية تأتي تمظهراً للإله، أي بمثابة الصورة التي ظهر فيها الإله -تعالى الله- لخلقه؛ فهم يقولون إنه: **"بسبب تفرد الله باللاهوت والأزلية، وتنزهه عن الجسدانية بكل صورها، يكون أقنوم الابن قد دعي بهذا الاسم، ليس لأنه يشبه الله... بل لأنه هو الذي يعلنه ويظهره، أو بالحري؛ لأنه هو الله معلنا وظاهرا"**[1]. **"فالمسيحية لا تعلن أن اللاهوت أو الله كان بدون ابن أزلا، ثم اتخذ له ابناً في وقت من الأوقات...، بل تعلن أنه متميز بهذا الابن أزلاً"**[2]؛ ولصالح هذا يحاول الجدل النصراني إخضاع بعض نصوص الكتاب المقدس لتوافق إرادتهم هذه، ويسعى لإثبات هذه العقيدة والتدليل عليها، كما سيأتي معنا لاحقاً في ثنايا البحث، وفي هذا يقول أحدهم: **"كن حذرا. أنا لم أقل إنني أثبت بما لا يدع مجالا للشك أن يسوع هو ابن الله، فما فعلته هو أنني قمت بدراسة البراهين والأدلة مقارنا الحجة بالحجة، ودلت النتائج على أن شهادة المسيح عن نفسه صادقة وكان علي أن أتخذ قرارا وهو ما فعلته"**[3]. كما أن بعضهم يبين أصل مسمى (أقنوم) من التاريخ، فيقول: **"قد اصطلح فلاسفة المسيحيين منذ الأجيال الأولى للمسيحية على تسمية الله بـ"الأقانيم"، والمفرد "أقنوم". وهذه الكلمة يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه، على شرط أن لا يكون مما شخص أو له ظل، وفي الوقت نفسه يكون مع آخر واحدا في الذاتية. ومن ثم فالمراد بالكلمة المذكورة، هو نفس المراد بكلمة "التعين" التي أسندها معظم الفلاسفة إلى الله"**[4].

وتأتي عقيدة النصارى في قيامة المسيح تابعةً لعقيدتهم في ألوهية المسيح ودليلاً عليها؛ إذ يعتقد النصارى أن قيامة المسيح من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من صلبه هي التي أثبتت وبرهنت على ألوهيته، فكما يقولون: **"إن من المناسب أن من صنع معجزات عديدة أثناء حياته، والذي قدم نفسه على الصليب كفارة عن خطايا كل البشر، والذي قام بعد ذلك**

---

(١) نفسه، ص٥٩.

(٢) نفسه، ص٦١.

(٣) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٨.

(٤) الله وحدانيته وثالوث وحدانيته، ص٢١.

بجسده من الأموات محققا بذلك بشريته الفريدة بالدخول إلى العالم بطريقة فريدة... يجب ألا يكون مجرد إنسانٍ عادي"(١)؛ فهم يرون أن هذا يجعل من المناسب أن يكون المسيح هو ابن الله، تعالى الله علواً كبيراً.

أما ما يتعلق بعقيدة النصارى في الكتاب المقدس فالنصارى يعتقدون أن الكتاب المقدس صحيح ثابت بما لا يدع مجالاً للشك بمضامينه التي تثبت عقائدهم في المسيح بظنهم؛ فيرى النصارى أن "**الكتاب الذي بحوزتنا اليوم هو فعلا كلمة الله، فالاكتشافات الأثرية الحديثة... التي تتكلم عن هذا الموضوع، أكدت أن الكتب المقدسة التي نمتلكها الآن، هي نقل دقيق لما كان متواجداً منذ ألفين من السنين"**(٢)، وأن "**الكلمة الأخيرة هي أن الكتاب هو أنفاس الله، لقد استخدم هو رجالا ليكتبوا بالضبط ما أراد لهم أن يكتبوه، وجنبهم الأخطاء، لكن في نفس الوقت استخدم شخصياتهم المتفردة وأساليبهم المتميزة لينقل لنا ما أراده بالضبط"**(٣)، و"**الكتاب المقدس لا يخطئ؛ إذ هو كلمة الله المعصومة، فإن ما أخبرنا به هو حق كامل**"(٤)؛ وبناء عليه فهم يجعلون الكتاب صلتهم بالسماء، ثم يحاولون إثبات عقائدهم من خلاله، سواء بنصٍ صريحٍ، أو مؤول.

أما رأي الإسلام في المسيح -عليه السلام-، والكتاب المقدس، فيتلخص فيما أخبرنا الله به في القرآن عن الكتب السابقة باعتباره أميناً عليها، وشاهداً على ما فيها من الحق(٥): ففي شأن طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يأتي القرآن مفصلاً وشارحاً، ومؤكداً على ولادته من غير أب، وأن هذه آية من آيات قدرة الله تعالى فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٨٤.

(٢) نفسه، ص ٣١٧.

(٣) نفسه، ص٣٠٩.

(٤) المسيح من هو؟، ص٢٧٢.

(٥) راجع في هذا: الموقف من التوراة والإنجيل باعتباره أساساً للتعايش، ص٤٩ وما بعده.

ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[آل عمران: ٤٢- ٥١].

فـ**"هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم، عليها السلام، عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها، أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهرها من الأكدار والوسواس، واصطفاها ثانيا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين"**(١)؛ حيث **"يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهو كلمة الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم، سمي كلمة الله ؛ لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلهذا سُمي روح الله"**(٢).

وفي شأن إبطال القول بالتثليث يقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٩.

(٢) نفسه، ٢/ ٣٩.

أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٧١- ١٧٢]، و"**{إنما} في هذه الآية حاصرة، اقتضى ذلك العقل في المعنى المتكلم فيه، وليست صيغة { إنما } تقتضي الحصر، ولكنها تصلح للحصر، وللمبالغة في الصفة وإن لم يكن حصراً... و{سبحانه}: معناه تنزيهاً له، وتعظيماً عن أن يكون له ولد، كما تزعمون أنتم أيها النصارى في أمر عيسى**"(١).

وقال جل شأنه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة: ٧٣- ٧٧]. "**قال مقاتل: إنما سميت صديقة؛ لأنها لما أتاها جبرئيل، وهي في منجم وقال لها: إنما أنا رسول ربك صدقته. وقوله [كانا يأكلان الطعام] في هذا المعنى عبارة عن الحدث، ومن أكل وأحدث لا يستحق أن يكون إلها. انظر يا محمد كيف نبين لهم، إلى قوله أنى يؤفكون، أي: [يرتدون] عن الحق. ثم قال: قل يا أهل الكتاب [يعني النصارى] لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتجاوزوا الحق إلى غيره**"(٢). وقد أكد القرآن الكريم على خطأ الاعتقاد بالكفارة، وأن المسيح -عليه السلام- لم يصلب ولم يقتل، فقال الخالق العليم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٥٧-

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،٢/ ١٤٠.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ٤/ ٩٦ بتصرف يسير.

١٥٩]. إلى غير ذلك من المواضع التي ذكر فيها المولى ﷻ المسيحَ -عليه السلام-، وأكد على نبوته وبشريته وعبوديته لله وحده لا شريك له.

وفي دلالة انتفاء العصمة عن الكتاب المقدس فلابد من الإشارة إلى قضية مهمة، وهي أن كل ما في القرآن الكريم إنما ينص صراحةً على ممارسات أتباع الديانتين، وليس على ذات الكتاب المقدس، بل إن من الآيات القرآنية ما قد يكون مستنداً لصحة التوراة والإنجيل اليوم، مثل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران: ٩٣]. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٦٨]، وقوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ٤٣].

وفصل ذلك عن ممارسات أتباع الديانتين **فقال تعالى:** ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ١٣]، وأمثال هذه الآية كثير. وهكذا تجد القرآنَ الكريم -في الوقت الذي يبين ما وقع فيه بعض أتباع الديانتين من محاولات لتحريف النص المنزل، وهذا التحريف يحتمل كونه متعلقاً باللفظ أو التأويل للمعنى- لا يُغفل التأكيد على الأصل السماوي للكتاب المقدس، ويدعوا أتباعه للاحتكام إليه، وأنه هدى ونور...إلخ، فتلك هي الإشارات التي تحملها آي القرآن حيال التوراة والإنجيل إما صراحةً وإما ضمناً.

والذي يعنينا في هذا التمهيد هو الإشارة إلى الموقف القرآني من هذه القضية، وليس البحث فيها ذاتها من جهات أخرى. كما أن البحث متجه إلى فحص المحاولات المعاصرة للعقل الجدلي النصراني بغية البرهنة على هاتين القضيتين، وليس هدفنا البحث فيها على جهة الخصوص، وإنما سؤالنا هنا: هل تمكنت المحاولات الجدلية المعاصرة من البرهنة على هذين الأساسين؟ أو لا؟، **وهذا ما نود أن نتبينه في عرضنا لأدلة الجدل النصراني وتحليلها وبيان أوجه مغالطتها بعون الله تعالى.**



المبحث الأول

الأدلة العقلية الفلسفية التي يوردها النصارى المعاصرون للبرهنة على حقيقة المسيح وصحة الكتاب المقدس

إن الاستدلال العقلي هو في الحقيقة أهم طرق الاستدلال على أي فكر؛ لكونه الخلفية المشتركة بين غالب المختلفين، ولكن الإشكال يكمن في أن الكثيرين يتوقعون أنهم يستدلون عقلياً على ما يعتقدونه أو يفكرون فيه؛ بينما هم في حقيقة الأمر يناقضون العقل، ويلتفون عليه، وقد يتم هذا من خلال الإيهام، أو التوهم بمقدماتٍ فيها كلمات تعطي انطباعاً يوحي بالعقلانية والاعتماد على المنطق؛ لكنْ عند التأمل الفاحص نجد أنها لا يمكن للعقل أن يدل عليها وينتجها فضلاً عن كونها تتوافق معه، أو تقنعه. وفي هذا المبحث تحليل لما وجدت من محاولات لاستخدام الأدلة العقلية للبرهنة على العقائد المسيحية في كتابات بعض النصارى المعاصرين.

وبدايةً نجد أن استناد المسيحية إلى البرهنة العقلية على صحة عقائدها لم يظهر بلغة فجة واثقة؛ بل قد نجد اعترافاتِ عددٍ من فلاسفة النصرانية المتقدمين بالتفرقة بين اللاهوت والعقل؛ أمثال تفرقة توما الأكويني؛ بحيث "**كان يؤمن أنه من الممكن للفيلسوف نظريا، أن يقيم مذهبا ميتافيزيقيا سليما دون أن يلجأ إلى الوحي. ومن الضروري أن يكون مثل هذا المذهب ناقصاً غير مقنع وغير تام لأن الميتافيزيقي (رجل الدين) يهتم أساسا بالحقيقة ذاتها، وبالله الذي هو مبدأ كل حقيقة وإن كان عاجزا بالبحث العقلي البشري الخالص أن يكتشف كل معرفة بالحقيقية ذاتها وبالله التي هي ضرورية للإنسان إذا أراد أن يبلغ غايته النهائية،... وبالتالي فإن عدم كفاية المعرفة الفلسفية تبدو واضحة، ومن ناحية أخرى فإن عدم الكفاية وعدم الاكتمال لا يعنيان الكذب أو البطلان بالضرورة، إن الحقيقة التي تقول إن الله واحد لا تفسدها واقعة أن لا شيء يُقال أو يعرف عن الأقانيم الثلاثة**"[1]، وهذه التفرقة التي تقتضي

---

(١) تاريخ الفلسفة، ٢/ ٣٩ بتصرف يسير.

قيام العقائد النصرانية على الإيمان -كمبدأ أولي- ثم محاولة تبريرها عقلاً -وقد لا تجد تبريرها العقلي هذا أيضاً-؛ نجدها تتناقض مع أسلوب عدد من النصارى المعاصرين الذين يقدمون كتاباتهم بناءً على تلازمٍ بين العقيدة النصرانية ومبادئ العقل، وأن العقل مبدأ أولي في إنتاجها؛ بينما الحقيقة أنها تتناقض مع مبادئ العقل الراسخة، ومن أمثلة ذلك:

نجد أنه في **عقيدة تأليه المسيح** -عليه السلام-**/ التثليث** يجعل النصارى الدليلَ على صحة هذه العقيدة: تصريح المسيح ذاته بأنه رب/ الآب في أقنوم ابن الله المتجسد؛ فيجعلون ما ورد في رسالة يوحنا الأولى معتمداً رئيساً لإظهار موثوقية هذه العقيدة في الجدل النصراني المعاصر، ونصه (**فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد**)(يو:٥: ٧)، بالإضافة إلى النصوص التي يصرح فيها المسيح -بزعمهم- أنه ابن الله الوحيد، أو أن له ذات الكرامة الإلهية، أو أنه المتمم لعمل الآب، ومحيي الموتى ونحوها؛ فلاهوت المسيح -إن رجعنا لتحليلهم للنص- يقوم على تصريحات المسيح -بزعمهم- وأعماله الخارقة للعادة كشفاء المرضى، والإخبار بما يكون ونحوها[1] مما خصه الله تعالى به من معجزات. وحتى ينسجم هذا الاستدلال عقلياً يلجأ الجدل النصراني إلى قضية هي في حقيقتها مصادرة على المطلوب من جهة، وخارج نقطة البحث من جهة أخرى، وهي الاستناد على أن المسيح لا يمكن أن يكون شخصاً كاذباً، فـ"**أوضح سبب على صدق يسوع هو أنه لو كان كاذباً إنما كان يكذب في شأن أهم قضايا الحياة: كيف نرضي الله، كيف نرث الحياة الأبدية، كيف تكون لنا الطوبى،...لو كان يسوع كاذباً لكان باع للناس خلاصاً عرف هو نفسه أنه زائف، ليكون بذلك أسوأ باعة الدين الذين نعرفهم اليوم**"[2]؛ فلأن يسوع لا يمكن أن يكذب في رسالته؛ فهو بالضرورة صادق في ادعائه الألوهية/ حلول الله تعالى في أقنومه، لكن هذا الاستدلال قاصر عن إنتاج المقدمة المراد إثباتها هنا، فالإقرار بصدق شخص المسيح -عليه السلام- والإقرار برسالته ودعوته لبني إسرائيل لا يلزم عنه الإقرار بأن المسيح ابن

(١) انظر: اتفاق البشيرين، وأين قال المسيح: أنا هو الله فاعبدوني؟، المسيح من هو؟، ص١٠٧ وما بعدها.

(٢) دليل البراهين الكتابية، ص ٧٣، وانظر: برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص١٨٠.

الله/ الإله في صورة بشرية، لأن هذه العقيدة تتطلب برهنة من حيث إمكانية صحة المبدأ وهو: الايمان بأن الإله يتجسد في صورة بشرية وهو في ذات الوقت إله متعالٍ وواحد "**فالمسيحية تعترف، على غرار اليهودية والإسلام، بإله واحد، وبأن لا إله سواه. ولكنها تعترف بإلهٍ واحد في ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس**"(١)، أي تؤمن بحلولٍ وتمظهرٍ للإله متكثر يظهر في صورة بشرية؛ ويلزم عن هذا عدم قدرة الجدل النصراني على حصر هذا الإمكان على يسوع بل يُبقي الباب مفتوحاً للحلول الإلهي من غير ما حصر، ومتى دعت الحاجة للخلاص. وهذا اللازم عبّر عنه أحدُ نقَّادِ العقيدة المسيحية عندما قال: "**غير أنه إذا كان الموجود الإلهي قد هبط إلى الأرض، فلماذا حدث ذلك في ركن صغير من العالم، ولماذا حدث مرةً واحدةً فقط؟**"(٢)، والإيمان بهذه العقيدة يصادر هذا الحق العقلي في التساؤل؛ ولهذا ستجده يسأل بدلاً من هذا عن لقب ابن الله هل يطلق على يسوع منذ الأزل أم منذ لحظة التجسد؟؛ كنتيجة لقفزه إلى التسليم دون برهانٍ، وهروباً من السؤال العقلي الملِحّ، هذا من جهة. كما يلزم عنه -من جهة أخرى- ضرورة إيجاد تبريرٍ صحيحٍ للجمع بين لاهوت المسيح -عليه السلام- وناسوته الذي يزعمون؛ فكيف يفسر الجدل النصراني الطبيعة البشرية للمسيح وحقيقة إرادته وفعله وتأثيره؟

ومما يطرحه الجدل النصراني المعاصر من تبريرات في هذا هو أن "**الابن الحبيب بعد تجسده صارت له الطبيعة الإنسانية بكل خصائصها، عدا الخطيئة التي دخلتنا بالسقوط؛ كما له من الأزل طبيعته الإلهية بكل خصائصها. فكالله كان بطبيعته الإلهية هو المالئ لكل زمان ومكان والعالم بكل شيء؛ وفي ذات الوقت كإنسان كان بطبيعته الإنسانية يتقدم في الحكمة**"(٣)، وفي تقاسم الصفات الإلهية؛ وعليه فإن الإرادة متحدة؛ لأن يسوع يقاسم الآب والروح

(١) المسيحية في عقائدها، ص٨٧.

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، ص٧٣.

(٣) موسوعة الحقائق الكتابية، ص٢٣٢، وانظر: الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص٧٩ وما بعدها، المسيح من هو؟، ص٢٥٤- ٢٥٦.

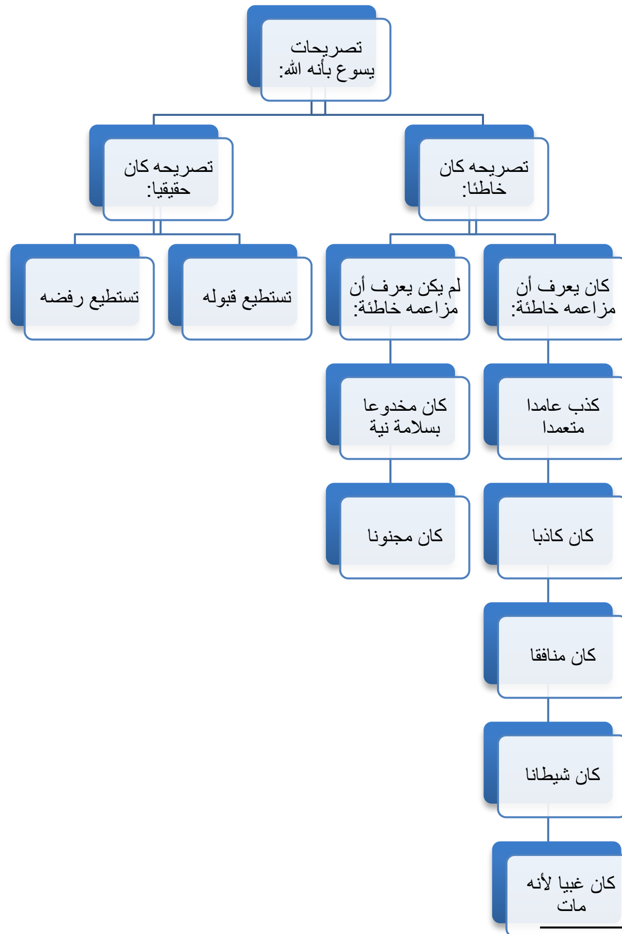
القدس المشيئة الإلهية ذاتها ويختص ناسوته بالإرادة الإنسانية الكاملة ويستحيل أن تتعارض الإرادتان للوحدة في اللاهوت من جهة، وللعصمة في الناسوت من جهةٍ أخرى. ويجادل بعضهم بأن وجود طبيعتين للإله لا يتعارض مع مبدأ التناقض بقوله: **"إذا قيل بالتالي إن في الله الوحدة والثالوث هما من حيثية واحدة، فذلك يكون ضد مبدأ عدم التناقض... والواقع أن المقول في الاعتراف الثالوثي هو وحدة الجوهر وثلاثية الأقانيم (أشخاص)، أو وحدة الجوهر في ثلاثية الأقانيم"**[1]، أو حتى ما يجادل به بعضهم بقوله: **"لو أن الأقانيم عناصر أو أجزاء في الله، لكان مجيء أحدهم إلى مكانٍ ما بحسب تقديراتنا البشرية، أو بالحري ظهوره فيه...دون الأقنومين الآخرين، يؤدي إلى حدوث تفكك في الله، لكن الأقانيم ليسوا عناصرَ في الله ، أو أجزاءً فيه، بل هم عين ذاته، وذاته واحدة ولا تتعرض للتجزئة أو الانقسام... لذلك لا يمكن أن يتعرض الله لأي شيء من التغيير بظهور أحد الأقانيم في مكان ما، دون الأقنومين الآخرين"**[2]، والحقيقة أن ما يُطرح هنا هو التناقض بعينه؛ ولا يمكن لهذه المحاجة التي تطلب منَّا التسليم بدون دليلٍ أن تنفي أن إقرار الثلاثة أقانيم وإمكانية التجسد الإلهي؛ يجعل من الصفة الإلهية التامة المطلقة بذاتها كالعلم والقدرة ونحوها موجودةً ومعدومةً في ذات الوقت؛ لتمظهر الإله في أقنوم اللاهوت والناسوت معاً؛ ولأنها كاملة في أقنوم الآب، ومحدودة في أقنوم الابن في ذات الوقت. أما الـمُحاجة بأن هذه الأقانيم الثلاثة هي عين بعضها لا مستقلة عن بعضها؛ فهو هنا في هذا الجدل لم يزد على أن يجعل الله جوهراً كلياً لا وجود له إلا في الذهن، والأقانيم هنا هي أفراد له، ويلزمه عن هذا إقرار الغيرية بين هذا الجوهر وأفراده/ مظاهره، وهي: الآب والابن والروح القدس عندهم؛ وعندئذ يرجع الجدل النصراني إلى قضية الأقانيم التي أراد أن يُثبتها بالنفي، أو عدم القدرة على إثباتها منطقياً في أقل الأحوال. وممارسة المصادرة من خلال تأليه الإنسان/ المسيح -عليه السلام- والقبول بأن هذا الحجاج يتنافى مع كثيرٍ من نصوص الكتاب المقدس التي تدعو إلى عبادة الإله المتعالي؛ وعندي أن الحجاج في

(١) إله المسيحيين، ص٢٤٦.

(٢) الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص٤٧.

التثليث لا ينكر الغيرية وإن ادعى وحدانيةَ الجوهر والطبيعة الإلهية، وهذا لازم تفريقهم بين الأقانيم؛ حيث كل أقنوم يتكلم بضمير أنا، ولكل أقنوم اسمه الشخصي، وكل أقنوم هو الله دون سواه بزعمهم(١)، فأين يفيد ادعاء وحدانية جوهر الرب في أقانيمه؟ وأين يفيد الزعم بأن يسوع ابن للرب أزلاً في ردم هوة هذه الغيرية؟!

ومن المغالطات العقلية للجدل النصراني القفز على الاستدلال لإمكانية هذا التجسد من عدمه، إلى الجزم -كما يزعمون- بثبوت التصريح بألوهية المسيح وصحته، ومن طرق ذلك: حصرهم هذا التصريح في قسمةٍ غير جامعةٍ، وغير مانعة، ومن ذلك ما قدمه صاحب كتاب: "**برهان جديد يتطلب قراراً جريئاً**"؛ ففيه قام المؤلف بجلب عدد من الشواهد التي يزعم أنها تثبت ادعاء يسوع الألوهية بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة(٢)، وفقاً لهذا التقسيم:



(١) انظر: موسوعة الحقائق الكتابية، ص١٤٧ وما بعد.

(٢) انظر: برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص١٦١-١٧٧. منطقية الإيمان بالله، ص٢٩٦، ٢٩٠. دليل البراهين الكتابية، ص٧١.

ففي هذا التقسيم يوهم المؤلفُ القارئَ بأن هذه قسمة عقلية حاصرة تنطلق من مقدمةٍ واحدة، بينما هي في حقيقة الأمر غير حاصرة عقلياً؛ **إذ لم يشمل التقسيم أن المسيح** -عليه السلام- **قد لا يكون نسب لنفسه الألوهية أصلاً**، وأما القسمة من بعد افتراض أن المسيح قال هذا، فلا بد أن تقسم إلى: ثبوت هذه التصريحات، أو عدم ثبوتها، ثم الانطلاق من هذا التقسيم ودراسته سنداً ومتناً كأي نصٍ لابد من التثبت من حقائقه. **والـمُحصلة** مما سبق: أننا نجدنا ندور في ذات الدائرة بحيث نلحظ أن هذا الجدل لصالح إثبات ألوهية المسيح يجعل دليل هذه العقيدة هو العقيدة ذاتها، وهذا بلا شك لا يستقيم في النظر العقلي البدهي، وهو عند التحقيق مصادرة على المطلوب؛ إذ **محصلته**: دليلنا على أن المسيح قال بألوهية ذاته أننا ندعي أنه قال ذلك.

وفي محاولة الجدل النصراني الإجابة على ضرورة أن يكون الله -تعالى سبحانه- إنساناً: يطرح أحدهم السؤال ويجيب عليه: "**لماذا يتحتم أن يصير الله إنسانا؟ يوجد سبب فريد يمكن أن نستوعبه بشكل كامل، تصور أنك تراقب فلاحا وهو يحرث قطعة من الأرض، ثم تشاهد تلا يسكنه بعض النمل الذي سوف يتم حرثه في الدورة التالية للفلاح، ولأنك تحب النمل، تسرع إلى تل النمل لتحذر ساكنيه ذوي البنية الضعيفة، تبدأ أولاً بأن تزعق وتحذرهم من الخطر القادم، لكنهم يستمرون في أداء عملهم المعتاد، ثم تجرب معهم عدداً آخر من الاتصالات، لكن لا يبدو أن ذلك النمل المنشغل بأموره قد سمع شيئا، حينئذ تدرك أن الطريقة الوحيدة لتصل إليهم هي أن تصبح واحداً مثلهم**"(١)، وهذه فكرة ومحاولة تقريبية من الكاتب لتوضيح الفكرة النصرانية في المسيح، وهي طريقة يستطيع استخدامها أي شخص لإثبات فكرةٍ ما، ولكن الكاتب أو بعض من يقرأ مثل هذه الأمور قد يظن أنها دليل إثبات، مع العلم أن بالإمكان استخدام نفس الطريقة لتيسير أن المسيح عليه السلام عبد الله ورسوله، فتصبح القصة التوضيحية بأن يجد -صاحب القصة الخائف على النمل- الحل في أن يحدث

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٦٩-٢٧٠.

نملة حديثاً تفهمه وتبلغه لقومها، وغيرها الكثير من (السيناريوهات) التي تقوم على جعلِ النتيجةِ هي مقدمة الاستدلال.

وبأسلوب آخر لمحاولة فلسفة تأليه المسيح يفترض أحد النصارى بأنه: "**إذا أصبح الله إنسانا فإننا نتوقع منه: ١-أن يظهر في تاريخ العالم بطريقة فريدة. ٢- يكون بلا خطيئة. ٣- يظهر تواجده غير العادي على شكل أعمال وأفعال غير عادية وهي المعجزات. ٤- يعيش بشكلٍ مثالي مقارنة بأي إنسانٍ آخر عاش على الأرض. ٥- يتكلم بأعظم العبارات التي قيلت من قبل. ٦-يكون له تأثير ونفوذ شامل ودائم. ٧- يشبع الاحتياجات الروحية للإنسان. ٨- يتغلب على أشرس أعداء الإنسان ومصدر خوفه الدائم وهو الموت**"(١)، وهنا لا يجد الكاتب مشكلة في مقدمته وكأنها مسلمة؛ وهنا نلحظ حيدة الجدل النصراني عن الإثبات العقلي للقضية المطروحة إلى الحديث عما يكون بعد حدوثها، وهذه ليست نقطة البحث أصلاً، والحجة هنا كسابقتها لم تزد على أن جُعلت فيها النتيجة مقدمة لما يريد الكاتب أن يقرره مسبقاً؛ ثم إن كل ما ذكره الكاتب يحصل لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ماعدا النقطة الأخيرة التي لم تثبت برواياتهم أصلاً؛ وحتى إن ثبتت فهي لا تبرئ المسيح من الموت والخضوع له، وهذا في حقيقته نسبة للضعف والعجز إلى الإله المتوهم في المخيال النصراني.

وفي جهة الإيهام بواقعية التجسد لتكفير الخطيئة الموروثة يجادل أحدهم بـ"**أن الأعمالَ الصالحة التي نقوم بها مهما عظمت قيمتها محدودةٌ لأنها صادرةٌ من الإنسان المحدود. بينما حق الله الذي أسيء إليه بسبب الخطية لا حد له، والمحدود لا يمكن قط أن يغطي غير المحدود**"(٢)!؛ ولذا فإن "**كل ممارسات الإنسان الدينية من طقوس وفرائض، وكل محاولات إرضاء الله بالأعمال، إنما هي إعادة المحاولة لستر العورة بورق التين**"(٣)، ثم واستكمالاً لهذا المبدأ البعيد عن العدل فإن "**المسيح بموته على الصليب قد عوض الله عن الخطايا التي**

---

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٧٠-٢٧١.

(٢) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص ٨٤.

(٣) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٢٦.

ارتكبت، وتحمل أجرتها، عندما ذاق الموت بنعمة الله ولمجد الله، فضمن الصليب حق الله وعدله وقداسته"(١). والحقيقة أن مثل هذا التبرير في أصله خطأ لأنه يتناقض في الأصل مع ما تقرره الأديان عن صفات الإله الواجب الوجود والغني بذاته عن أي شيء والقادر على كل شيء، فلا تزيده أعمال خلقه منفعة كما لا تضره ولا تنقصه معاصيهم شيئاً، فإذا كان هذا هو التصور الفطري الذي يدل عليه العقل والاستدلال المجرد فكيف له أن يسمح بتجسد نفسه لتضرره من الخطيئة؟ وكيف نفهم أن أصل الكفارة والصلب محبة الله؟!.

وفي هذا السياق يستدل أحدهم بـأنه **"إن كان الله في البداية قد طرد آدم من الجنة نتيجة لخطية واحدة أخطأ بها إليه، وإن كان كل نسله قد وُلدوا خارج الجنة في مكان البُعد عن الله، فكيف يمكن لله أن يعيد الإنسان ثانية إلى حِماه؟ فإنه لو كان الله مستعداً للتنازل عن حقوقه، ما الذي جعله من البداية يطرد آدم، إذا كان سيعود فيقبله ويقبل نسله مرة ثانية إليه، دون الكفارة اللازمة؟"**(٢)؛ وأمثال هذا كثَير مما يستدل به النصارى عندما يقال لهم كيف يحتاج الله للتجسد وهو الغني الكبير القادر على فعل كل شيء دون حاجة لما افترضتم أنه ضرورة؟ وكثيراً ما يقع النصارى في مثل هذه التناقضات إما لانعدامِ نصٍ ثابتٍ صحيحٍ في التوحيد لديهم، وإما لوجودِ تفاسيرَ مضللة طغت على النص الأصلي؛ ولذا عليهم الاعتراف بعدم توحيدية ديانتهم؛ إما لخضوعها للتحريف والاختلاق، وإما أنَّ حقيقةَ ادعائهم التوحيدَ فرعٌ عن تشوهٍ حادٍ في التصورات لطبيعة الإله وعلاقته بالمخلوق، وانقيادٌ أعمى للأحبار والرهبان.

وللدمج بين تناقضهم في القول بألوهية المسيح، وتعرضه للعذاب؛ عُدَّ المسيح -عليه السلام- مُصالحاً بين الله والبشر؛ **"وإذا كان هذا المصالح يمكنه أن يضع يده على الله والناس في آن واحد، فهذا معناه أنه معادل لله ، ومعادل أيضا للناس"**(٣)، فلا يجد النصارى سوى الإصرار

(١) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٥٩.

(٢) أرني أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني؟، ص١٧٧. وانظر: المسيح من هو؟، ص٢٩١-٢٩٣.

(٣) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٤٠.

على دمج النقيضين، ليقف العقل مذهولاً، وعندها يتعين الإقرار بتعذر الاستدلال العقلي؛ فالبنوة في اصطلاح النصارى هي "**المحبة الفريدة...المعادلة الكاملة... المشابهة التامة...التمثيل الرسمي**"[1] وعلى العقل أن يغص بكل هذا؛ ليقال له بأن الابن "**مجد الآب في حياته بعمله الصلاح الذي لم يعمله الإنسان، في موته مجد الله بتحمله عقوبة الشر الذي لم يعمله هو**"[2]، ولا أعلم حقيقةً مدى صعوبة أن يرى العقل النصراني الظلم والشطط في الاعتقاد بكل هذا. ولهذا يقوم العقل الجدلي النصراني بتغليف كل هذا الحيد عن العدالة بالكثير من الكلمات الرنانة مثل الحب والحرية، فيقال بأننا "**نستطيع أن نعرض المسعى الحاسم في نقطتين: ١-في الصليب يجد تجسد الله معناه الأخير الحقيقي... ٢-إذا كان الله يظهر كمحب بحرية، وكحر في المحبة، فيجب إذا كان الصليب هو كشف الله المعادي لذاته، أن يكون في ذاته حرية في المحبة ومحبة في الحرية**"[3] ولا يجدون غضاضة في القول بأن "**موت المسيح الكفاري والنيابي رفع الخطايا، وسكّن الغضب، فأصبح يمكن لله أن ينظر إلى الإنسان بدون غضب، وأن الإنسان ينظر إلى الله بدون خوف، أي أن الخطية تغطت، والله ترضّى**"[4]. ولنا هنا أن نسائل العقل النصراني كيف ستقنع ضعيف العقل الذي يقنع بهذه المقدمة المشوهة بأن عليه ترك المحرمات وفعل الطيبات؟ وكيف ستقنعه بأنه يستحق العقوبة على خطأ ما وهو لا يشعر بأدنى استحقاقٍ للعقوبة ولا حتى يرى نفسه مذنباً؛ مادام إلهه قد تحمل عنه كل شيء لحكمة أو لغير حكمة؟، وقد حصل على الكفارة التي هي: "**مدلول مزدوج: "تغطية" و"ترضية". تغطية للأشياء المطلوب سترها عن نظر الله، أي الخطية. وأما الترضية فإنها متجهة للشخص المطلوب إزالة غضبه والحصول على رضاه، أي الله**"[5].

---

(١) ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص٥٩-٦١.

(٢) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٦١.

(٣) إله المسيحيين، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٤) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٥٣.(في المرجع المذكور ستجد النص "فأصبح يمكن أن لله ينظر" فصححت النص).

(٥) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٥١.

ومن الجدير التركيز على أنه ما زال الجدل النصراني يقرر بأن **"فكرة الوحدة الإلهية بالمعنى الجذري، وفكرة التعالي الإلهي المرتبطة بها مباشرة، تلزمنا إعطاء جواب جديد عن مشكلة الوحدة والتعدد بالنسبة إلى جواب الفكر القديم"**(1)، وما تزال الأدلة مختفية، فتخيل أن تؤمن بما لا تجد دليلاً عليه منتظراً العثور على الدليل. ولو كان هذا الدليل موجوداً لأخبرونا به ولكرروه وأعادوه وأملوه على الملأ، ولكن لغيابه لا يجدون إلا الحديث عن الإيمان الذي يعجز العقل عن إدراكه كما أسلفنا، وبالتالي فإن محاولة الاستدلال العقلي عليه متعذرة، بل يمكن اتخاذها نموذجاً في علم المناهج على أوضح صور الخلل المنهجي.

وفي جانب الاعتقاد بعصمة الكتاب المقدس نجدهم عند تناول مسألة اختفاء أصول الكتاب المقدس المكتوبة مثلاً يكثرون من التبرير الذي يُوهم بأنه يتناسب مع العقل، فيقال: إن الله أخفى أصول الكتاب المقدس -الموجودة في زمن أنبياء بني إسرائيل حتى بعثة عيسى عليه السلام- حتى لا تعبد من دون الله ﷻ، **"فإن الأصول غير متواجدة لأسباب عملية، وكل التعليم اللازم نجده في النسخ التي بين أيدينا، وهذا مماثل لقولنا إن عدم تواجد أصل الدستور الأمريكي أمر خطأ، بينما نحن لدينا نسخ جيدة منه وتحل بدلا منه"**(2)؛ وتكمن العقلانية المتوهمة في هذا التبرير لمسألة عدم وجود أصول الكتاب المقدس على مقارنة الكاتب هنا بين الدستور الأمريكي والكتاب المقدس؛ وهذا -عدا عن كونه يعود على أصل القضية بالنقض- أمر لا يصح القياس عليه لشدة البون الشاسع بين الكتابين، أي بين الرباني السماوي المتعلق بأمر الدنيا والآخرة، الذي تُبنى عليه قضايا بحجم التاريخ والكون بأكمله، وكتابٍ اتفق مجموعةُ مثقفين بشريين على تأليفه، فهو قابل للنقض والاعتراض والتعديل لتعلقه بشؤونِ دولةٍ محددةٍ في أمورٍ محدودة، ولا يعد اختفاؤه مصيبة؛ إذ من السهل إعداد ما هو أفضل منه فضلاً عما يشابهه أو يطابقه؛ والحاصل أن فساد القياس يفسد نتيجته بالضرورة بحيث لا يمكن للنُّسَخ الموجودة الآن أن تكون مُغنيةً بحالٍ عن أصل التنزيل. ثم إن كانت أصول

---

(1) إله المسيحيين، ص٢٥٤.

(2) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص ٣١٦.

الكتاب المقدس أخفيت من الله خوفاً من شرك المؤمنين به"[1]؛ فإن هذا ليس إلا دليلاً على انتفاء ثقة الخالق في هؤلاء القوم -الذين أنزل عليهم- فيما يتعلق بحفظ الكتاب بأمانةٍ دون الزيغ به عما نزل لأجله؛ وعندئذ يلزم هذا المنطق في جدال النصارى الموافقة **على أنه سبحانه يعلم عدم حفظهم لكتابه وحقيقة إيمانهم فَقَدَّر إخفاء أصول الكتاب المقدس حتى يبقى هذا الإيمان، ولو تُركوا لإرادتهم الحرة لنكصوا عن هذا الأصل.** وهنا يتضح لدارس علم الاعتقاد كيف أن العقل الجدلي النصراني واقع بين عدم القدرة على الاستدلال لصحة الكتاب المقدس أو اتهام نقلته، وكلا الأمرين يوصل إلى خلاف ما أراد الاستدلال له.

وفي مقام آخر يحاول الحجاج النصراني البرهنة على عقلنة الكتاب المقدس من خلال من البرهان الداخلي: أعني نصوص الكتاب المقدس ذاتها، فيجعل أحدهم **"أساس عصمة الكتاب المقدس هو طبيعة الله نفسه، فالله ليس مبدأ مجردا (غير شخصي)، بل هو كائن شخصي يتكلم؛ سواء داخل الثالوث أو مع مخلوقاته. لكنه يتكلم دائما كرب، في قوة، وسلطان، وحضور. وأي كلمة خرجت من الله هي حق يحمل ربانيته: يمكننا أن نثق بها؛ لأنا نثق بصوت الله الإلهي المباشر. لقد اختار الله أن يتكلم مع البشر في ذلك الصوت الإلهي المباشر، وكذلك أيضا من خلال الأنبياء والرسل البشريين"**[2]، وأنت تلاحظ هنا أن الأمر لا يعدو المصادرة على المطلوب؛ إذ نهاية ما قيل هنا هو وجوب الثقة بهذا الكتاب لكونه كلمة الله هذا من جهة، ومن جهة أخرى قبل إقامة هذا الاستدلال لابد أن يجيب الجدل النصراني على السؤال الأهم وهو: كيف اخترنا الأناجيل الأربعة من بين كل الأناجيل[3] ككلمة الله المعصومة؟. ثم بأي حق يشرع الكاتب المسيحي في وصف الله بما لم يصف به نفسه حتى في ما

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٢) الكلمة المعصومة، ص٢٤٠.

(٣) سنأتي بتفصيل لذلك في مبحث الأدلة التاريخية بإذن الله تعالى.

يزعم أنه ثابت عن الله؟ فيصفه بأنه ثالوث، وهو ما يقر الكتاب النصارى بعدم ذكره بهذا التفصيل في كل الكتاب المقدس(١).

وبالمنهجية نفسها -التي تصادر على الاستدلال الأولي ليستقيم باقي ما يترتب عليه- يعالج الجدلُ النصراني مسألةَ تعدد الكَتَبة للكتاب المقدس وتعدد الأناجيل والاحتمالية الكبيرة -جراء هذا- لوقوع الخطأ؛ فيجادل أحدهم بـ**"أن ازدواجية التأليف للأسفار المقدسة لا تستلزم حتمية وجود أخطاء في نص الكتاب المقدس بنفس مقدار مالا تعنيه طبيعتي المسيح أن يسوع قد أخطأ"**(٢)، وهنا تلاحظ بناء الاستدلال على مقدمةٍ لم تقرر أصالةً، فمن أقركم -أصلاً- على وجود طبيعتين للمسيح؟! لا في صحيح النص الإنجيلي، ولا في صريح العقل السليم الرافض لاجتماع النقيضين. ويجادل آخر بأنه: **"عندما نقابل خطأ ظاهريا في كتابات مؤلف بارع، علينا أن نفترض في أنفسنا أننا نجهل فهمه، إلى أن نتأكد أننا نفهم جهالته"**(٣)، وهنا يتجاوز الكاتب سؤالاً مفاده: هل ثبتت -أصلاً- نسبة هذا الكلام لله ﷻ؟ ثم يأتي بعده الحديث عن التسليم، أو الاستنارة بما ورد في الكتاب المقدس. والحقيقة أن كل محاولات الجدل النصراني في الدفاع عن هذه العقائد المتناقضة أقل ما يقع فيه هو المصادرات المنطقية؛ ولذا تجدهم في الحديث عن الأناجيل الكثيرة الأخرى التي خالفت الأناجيل الأربعة المتفق عليها منذ مجمع نيقية؛ يصرون على أنها تحمل **"تعاليم مخالفة للعهد الجديد وروحه؛ حيث تقول مالم تقله البشائر الأربع عن يسوع، كما أنها تنادي بأن الخلاص هو بالمعرفة، وليس بالإيمان بالمسيح الذي صلب من أجل خطايانا وأقيم من أجل تبريرنا"**(٤). وهذه المغالطة المنطقية مردها إلى أنهم وقفوا على النص الأصلي، ومن خلاله عرفوا توافقه مع الأناجيل

---

(١) انظر: برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣١٣. وانظر: أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني؟، ص١٠. وانظر: الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص١٥٢. وانظر: المسيح من هو؟، ص١٠٨.

(٢) الكلمة المعصومة، ص٣٦٦.

(٣) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣٦٩.

(٤) المسيح من هو؟، ص١٠٥.

الأربعة واختلافه مع غيرها، وهذه المغالطة مع كونها حيدة عن محل البحث قائمة على دعوى لا يمكن إثباتها وهي الوقوف على الإنجيل الأصلي، وبالتالي فإن الجدل النصراني محتاج لإثبات هذه المقدمة حتى يمكنه الموافقة على هذه التعاليم أو رفضها وليس القياس على ما هو مقارنٌ لها ومساوٍ لها في الدرجة، أعني الأناجيل المعتمدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحجاج النصراني هنا يحمل في طياته بذور موته، وذلك أن هذه الحجة تقوم على إنكار إمكانية أن يكون الخلاص بالمعرفة بل بالإيمان أولاً، ولا يخفى هذا التناقض لذي عينين؛ فإنه يقول حتى تكون مؤمناً عليك أن تؤمن! ولا يشعر بأدنى حرج من هذه المصادرة العجيبة، فكيف تجد نفسك مؤمناً دون أن تعرف؟ بهذا فإن الملحد الذي وجد نفسه ملحداً هو مؤمن، ولا دَاعي لكل هذه المعارف والحجج والدعاوى للتبشير بالنصرانية.

ويزداد الإصرار بأن "**تلك الأدلة الخارجية تنفع في تثبيت المؤمنين والرد على الكافرين، لكنها لن تنفع الإنسان حتى ولو أقنعته، مالم يؤمن أولاً بالكتاب، وبالله معطي الكتاب... فمثلا: إذا صدقتُ شخصاً لأن شخصا آخر أثق فيه أخبرني أن ما قاله الأول صحيح، لا أكون في تلك الحالة وثقت في الشخص الأول على الإطلاق... وهكذا أيضا من يؤمن بالوحي استنادا إلى البراهين والحجج المنطقية، يكون إيمانه سطحيا، إذ هو إيمان بعقله وذكائه الذي أعطاه الاقتناع، وليس إيمانا بالله معطي الكتاب**"(1). إن مثل هذه النصوص الصريحة في اعتبار تعطيل العقل فضيلة؛ توقع الشخص في حيرة التناقض، إذ هذا العقل الذي به تميزتَ عن الحيوان، فآمنتَ بالله، وخضعتَ لعبادته، يصير حاجزاً بينك وبين الإيمان الكامل، وفي الوقت ذاته هو إقرار من الجدل النصراني بعبثية الاستدلال العقلي على هذه العقائد، وبالتالي كيف يمكن لهذا المنهج أن يحاور الملحد فضلاً عن الإقناع بصحة العقائد النصرانية؟!.

وفي السياق ذاته -أعني محاولة البرهنة الداخلية على صحة الكتاب المقدس- نجد الجدل النصراني يحاول التبرير للتجسيم الموجود في كثير من النصوص التي تتحدث عن الله ﷻ

(1) وحي الكتاب المقدس، ص١٣٥.

أو المسيح -عليه السلام- "بعد أن ألّهوه"، والذي يقر العقل بأنه لا يليق بالإله، فيقول بأن **"النقاد لديهم إثبات ظاهري وسطحي تماما. فالإنسان بعقله المحدود لا يستطيع أن يعبر عن الأفكار عن الله بأي وسيلة سوى التجسيم"**(1)، تفترض أن الله مات ثم قام، فالبحث هنا ليس عن مطلق التجسيم أو التشبيه، وإنما في خصوص قول النصوص بأن الله عُذِّبَ ومات.

وهنا نشير إلى أنه عندما لجأ الكثيرون إلى إنكار النصرانية بكاملها لمثل هذه الأسباب قيل عن مثل هذه المشاريع المحاربة للنصرانية: **"إن المشروع بأكمله يشبه تماما اللجوء إلى قطع رأس شخص كعلاج له من الصداع"**(2)؛ إذن فلماذا لا تريدون إخضاع هذا الصداع لعلاج حقيقي بعيداً عن المكابرة المستمرة لمئات السنين بنفس المنهج الجدلي؟! ومحاولة قولبتها في لغة خطابية، ثم الزعم بأنها منطقية قائمة على المنهج البرهاني؟!.

فـ**"إنكار عصمة الأسفار المقدسة يؤدي حتما إلى إنكار بالمسيح نفسه"**(3)، وفي هذا السياق يقرر الجدل النصراني أنه (النص)، وهذا يكشف لنا جانباً من آلية العمل العقلي الداخلي لدى الجدل النصراني؛ حيث يستبطن نتيجة متوهمة، ثم يبني على ضرورة نفيها نفي المقدمة محل البحث، وهذا على فرض التسليم به -لم يُجْدِ نفعاً في الجدل مع الملحد؛ فإن الملحد سيقول: ولينتفِ وجود المسيح فكان ماذا؟!، وهذا يكشف لنا كيف أن الحجاج النصراني ليس برهانياً؛ فإن من خصائص البرهان العقلي أنه محل تسليم من كلٍّ منا عدا السوفسطائية. ثم إن مثل هذه الدعوى تقوم على مغالطة منطقية حاصلها: كل ما أسمعه كذب أو كله حقيقة، والخياران بعيدان جداً عن الصواب؛ فإن كلَّ ما نسمعه -بالنظر إلى ذاته- محتملٌ للصدق والكذب؛ وبالتالي يمكن القول بعدم عصمة الأسفار المقدسة مع القول بصحة وجود المسيح.

وفي سياق ردهم على من ينتقدون الكتاب المقدس من غير المؤمنين بصحته يقول أحدهم: **"إن فكرة ضرورة أن يكون الكاتب مبهما أمام من عاشوا معه في نفس الثقافة،**

(1) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٤٣٢.

(2) نفسه، ص٤٨٩.

(3) الكلمة المعصومة، ص١٩١. وانظر: دليل البراهين الكتابية، ص ٢٧٠، ٢٨٤، ٣٠٢.

وتحدثوا بنفس اللغة، وشاركوه في نفس الصور البلاغية المعتادة، والافتراضات اللاواعية، إلا أنه يكون شفافا وواضحا أمام الذين ليس لديهم أي من هذه الامتيازات، تلك الفكرة في رأيي منافية للعقل، ولا يوجد أي احتمال لها، حيث لا يمكن لأي حجة أو دليل أن يوازن ذلك."(١) فالكاتب يعترض على من ينتقد الكتاب وهو لم يدرك زمنه، وهذه مصادرة ومغالطة منطقية، فلا يعني معايشتك لحدث ما أن تكون أعلم به ممن لم يشهده. ثم إن الكاتب نفسه يتحدث عن المسيحية والمسيح، وهو لم يحضر ولم يشهد أيّاً من أحداث ذاك العصر. وهنا يزعم الباحث أن من عايشوا المسيح أعلم به ممن بعده، ثم يرتب عليه أن علينا تصديق ما وردنا عنهم، وهذا مع كونه ليس من الاستدلال في شيء فهو يتجاهل كل لوازم هذا مثل أن يكون ما وردنا عنهم صحيحا رغم جهلنا بصحة ثبوته عنهم، ومتجاهلا دخول التأويل الواسع على نصوصهم التي قد تجد لها تفاسير أخرى غير التثليث وتأليه المسيح، كما أنه يتناسى كل ما تحدثه الترجمة من تغييرات على النص الأصلي.

إذن فجل ما ينتجه الحجاج النصراني هو توهم العقلانية والقياس الفاسد؛ وهذه النتيجة تؤكد على أن شعاراتهم في الاحتكام إلى المنطق، وإعطاء أقوالٍ عامةٍ تفيد وجوبَ الالتزام بقوانينِ العقل في ثنايا هذه الكتابات؛ ما هي إلا كلمات مفرغة عن المعنى الحقيقي للإعمال.

يقول أحدهم: إن **"قوانين المنطق يجب أن تتطابق مع الحقيقة؛ وإلا كنا نعيش في مسكن للمجانين"**(٢)؛ لكننا عند التأمل في وجودِ دليلٍ منطقيٍ واحدٍ يستطيع شرحَ عقيدة الثالوث عندهم وتفسيرَها وتبريرها؛ لا نجد في الحقيقة أي قاعدة منطقية يمكن لها أن تنسجم مع ما يزعمون في ألوهية المسيح عليه السلام وقسمته الثُلاثية، وهذا -في رأيي- يعود إلى موقفهم من علاقة العقل ذاته بنص الكتاب المقدس، التي يستحضر فيها قول سبينوزا: إنه بالنسبة إلى **"ما إذا كان الكتاب ينبغي أن يكون خادماً للعقل، أم العقل خادماً للكتاب... فتبعا لوجهة**

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٤٩٩.

(٢) نفسه، ص٥٢٦.

النظر التي نأخذ بها، وهل هي الأولى أو الثانية، يصبح العقل أو الكتاب فاسداً بالضرورة"(1)؛ لأن قضية الإيمان عندهم تعارض قضية إعمال العقل، مع أن الاحتكام إلى المنطق الذي يتذرع به الجدل النصراني يقتضي أنه لا يمكن فهم الكتاب الذي يعتبر شاهداً على العقيدة النصرانية بدون العقل، وهذا أمر يتعذر على الجدل النصراني التسليم به فضلاً عن اتخاذه منهجاً وعندئذٍ يظهر أن العقل يحارب نفسه عند محاولته استيعاب عقيدة الثالوث، والذي برأي الجدل النصراني هي "**حقيقة تتجاوز تماماً إمكانيات العقل البشري، ولا يضمنه إلا الكشف الإلهي، وحتى بعد هذا الكشف تستحيل علينا معرفته بطريقة إيجابية"**(2)، فزعماء الكنيسة يكبتون الفكر من خلال الحديث عن أنه "**في النهاية لا يمكن فهم الكنيسة فهما صحيحا إلا في منظور الإيمان"**(3)؛ فالعقل مجرد شعار يتلاشى عندما يصرخ العقل بحقه في الفهم، ثم لا يلبث أن تتلاشى أهمية العقل أمام الخرافة التي لن تجد لها حيزاً إلا بالإيهام بأنها من الإيمان. وكما يقول أحدهم في سياق رده على من يزعمون أن العقل عاجز عن إدراك الحقيقة: "**إذا كانت اللغة الإنجليزية معيبة، فكيف كان بمقدرتك أن تصوغها بكل بساطة لتوضح أنها لغة معيبة؟"**(4) -مع أنه لم يقدم أدلة عقلية منطقية على عقيدته- فهو هنا يعيب استخدام العقل في رفض العقل؛ وهنا علينا أن نطالب باتساق الفكر النصراني، فما هو الحد الفاصل الذي يجعل الجدل النصراني المعاصر يطالب بتفعيل العقل أو تعطيله؟ هذا ما لا نجد جواباً عليه، ولا حتى الإشارة إلى ملاحظة هذا الخلل المنهجي.

وإذا كان الجدل النصراني لم يُفلح في البرهنة العقلية على كبرى المعتقدات لديه، فهل أفلح في تدعيم تلك الاعتقادات من خلال المنهج الخطابي...؟

هذا ما سيجيبنا عليه المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

---

(1) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص355.

(2) إله المسيحيين، ص 289.

(3) المسيحية في عقائدها، ص 306.

(4) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص 565.

المبحث الثاني

الأدلة الخطابية التي يوردها النصارى المعاصرون للبرهنة على حقيقة المسيح وصحة الكتاب المقدس

إن الجدل الذي يقيمه الفكر الديني المعاصر في النصرانية لا يركز على جانب الاستدلال العقلي فقط، وإنما يعمد إلى تقديم الحجج الخطابية التي تصادر على المقدمات وتوهم بالإقناع العقلي، وهذا كثير في كتابات النصارى التي ترمي إلى لفت النظر وجذب الانتباه. وأول ما يظهر للمتابع للجدل النصراني يلاحظ هذا الإعمال للخطابة وأساليب الترويج، بداية من أسماء كتبهم التي ينتقونها، مروراً بالصلوات التي يتلوها القساوسة في المناسبات الدينية، وانتهاءً بالعبارات الخطابية التي تمتليء بها الكتب المعنية بشرح عقائد النصارى والاستدلال لها. ولعلنا في هذا المبحث نأتي إلى عرضٍ لبعض أدلتهم الخطابية وتحليلها ونقدها بعون الله تعالى.

ففي سياق ما يزعمه الجدل النصراني بأن المسيح عليه السلام نسب لنفسه الألوهية يقول أحدهم: "**لماذا لم يكن يسوع كاذبا أو مجنونا؟ لا يمكن لأي شخص قرأ الإنجيل بأمانة وجدية أن يفكر في هذا الاحتمال، إن حكمة وفطنة وجاذبية يسوع تتبدى من الإنجيل بقوة فائقة لأي شخص إلا للقارئ المتعنت المتجني... قارن يسوع مع الكذبة... أو المخبولين**"(١)، ولن تجد يسوع أبداً كاذباً؛ لينتج من هذا صحة نسبة ادعاء الألوهية إليه. وهذا الاستدلال الخطابي ينطلق من استبعاد اتهام المسيح عليه السلام بالكذب لينتهي بتأليه نفسه دون نصٍ ثابتٍ يؤكد دعواه، ودون استدلالٍ فلسفيٍ سليمٍ بل مجرد الإقرار بأن المسيح لا يمكن أن يكذب، وخلاصة هذا الاستدلال: بما أن يسوع ليس كاذباً، ولا يشبه الكذبة فهو إله. ولا يخفى ما في هذا الاستدلال من قفز على حقائق المنطق؛ بل والحقائق الخطابية، أو المقدمات المشهورة. ومثل هذا العبث أقرب منه إلى مطلق الاستدلال. ولكن يبدو أن المزاج النصراني لا يستنكر

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص١٨٠.

مثل هذا النوع من الحجاج؛ ولهذا ومثله الكثير مما نجده في اللاهوت الغربي نرجو من الله أن ييسر لنا ما نعتزمه من زمنٍ بخصوص الدلالة النفسية للاهوت النصراني المعاصر إن شاء الله تعالى.

ومثل هذا: الاستدلال بأتباع المسيحية؛ لإثبات صحة دعوى ألوهية المسيح التي ينسبونها إليه؛ إذ انتقال أتباع المسيح عليه السلام من الضعف إلى القوة "**تعتبر طفرة نفسية غير معقولة إذا تصورنا هذه المجموعة الصغيرة من الأفراد المنهزمين المنكمشين على أنفسهم المذعورين... وبعد أيام قليلة يتحولون إلى جماعة لا يمكن لأي اضطهاد أو تعذيب أن يثنيهم عن التبشير**"[1]؛ ليستدل من هذا على صحة النصرانية بعقائدها. لكن ما يُراد إثباته هنا يحتاج إلى أدلة أوسع من مجرد الخطب الرنانة والاستدلالات الناقصة، أضف إلى هذا أنه ملزم بموجب هذا الاستدلال الخطابي أن يقر بأن في التاريخ الكثير من مثل هذه المواقف التي يتحول فيها الضعفاء لأقوياء ثابتين متمردين، وقد يتحقق لهم الانتشار بعد الاضطهاد مع اختلاف العقائد والديانات، فقد أثبتَ التاريخُ أنَّ الضغط يولد المقاومةَ. وكما أراد الكاتبُ اتخاذَ المسيحيين الأوائل أنموذجاً للتحول من الضعف إلى العزة لتقرير صحة العقائد النصرانية؛ فإنه منطقياً يتحتم عليه تطبيق هذا على النبي محمد ﷺ وأصحابه، والذين اضطرهم ظلمُ قريشٍ واضطهادهم للخروج من أرضهم، فأعزهم الله بعد ضعفهم؛ حتى يكون حكمه متسقاً مع ما يزعم.

ثم يقرر الكاتب بأنَّ هؤلاء المسيحيين "**نجحوا في اتخاذ يوم الأحد هذه القرون الممتدة، وجعلوه هو يوم الراحة والعبادة، مع ذلك، تَذَكَّر أن المسيحيين الأوائل كانوا يهوداً**"[2]. والحقيقة أن المسلمين فعلوا أكبر من ذلك، فجعلوا الجمعةَ عيداً للمسلمين، وألغوا جميع أعياد الجاهلية -التي استمرت لقرون- من اللحظة الأولى التي بزغ فيها الإسلام؛ واستبدل بها الأضحى والفطر، بل وحرَّم الخمرَ، وحدَّ الحدودَ، وقلبَ الخريطةَ المفاهيمية للعقل العربي في

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٤٥.

(٢) نفسه، ص٢٤٧.

العقد الأول من الإسلام، والآن الإسلام أكبر منافس للمسيحية، ولا أدري لماذا يتجاهل الكُتّابُ المسيحيون أنَّ كلَّ ما استدلوا به على صحة عقائدهم -على فرض اتساقه منطقياً- يوصلهم ضرورةً إلى صحة الإسلام والتوحيد، وبالتالي يُنتج -ضرورةً- بطلانَ العقائد المسيحية التي يحاول الجدل النصراني المعاصر الاستدلال لها.

ومثل هذا النوع من الاستدلال الخطابي تجده في الدفاع عن قيامة المسيح، يقول أحدهم: إن **"كل هذه الملايين من أتباع اليهودية أو البوذية أو الإسلام يقرون بأن مؤسسي دياناتهم قد ماتوا ولم يقم أحد منهم من بين الأموات... ومن ثم فإن المسيحية مؤسسة على اعتقاد التلاميذ الأقدمين في أن الله قد أقام يسوع من الأموات"**(١). والحقيقة أن مقدمته البسيطة على قيامة المسيح لا تنتج صحتها؛ لأن عدم السبق بالادعاء من الآخرين -على فرض صحة عدم السبق- لا يعني صحة الادعاء ذاته من الجدل النصراني؛ لأن حاصل هذا الاستدلال: بما أن الآخرين لم يدعوا ما ادعيتُه فدعواي صحيحة، ولا يخفى على ذي عقلٍ ما في هذا الحجاج من المغالطة. ثم لو كان صحيحاً من حيث الإجمال فإنه لا يدل على خصوص ما يستدل به عليه؛ لكون الاعتقاد بالقيامة يحتاج إلى أدلةٍ ثابتةٍ صحيحةٍ، لا مجرد الادعاء الخطابي.

ومن هذا الباب يُكثر النصارى المعاصرون الاتكاء على معاناة الرسل الأوائل، فهم **"لم يلقوا شيئا سوى الازدراء... والتعذيب... لقد كان لديهم كل الدوافع الممكنة لمراجعة وفحص أسس إيمانهم بعناية، والأدلة على الحقائق العظمى التي بشروا بها، وهذه الدوافع كانت تضغط بشدة على وعيهم بآلام ومخاوف متكررة؛ ومن ثم كان من المحال أن يصروا على تأكيد الحقائق التي ذكروها لولم يكن يسوع قد قام من الأموات حقا"**(٢). وهذا الاستنتاج يقال فيه ما قيل في غيره من التباعد بين المقدمة، ونتيجتها التي تحتاج إلى ثبوتٍ ببراهينَ تاريخيةٍ، أو منطقيةٍ سليمةٍ من المصادرات والمغالطات المنطقية، وهو الأمر الذي لم يقدمه لنا الجدل النصراني المعاصر.

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٠٨.

(٢) نفسه، ص٢١٨.

والجانب الآخر في الجدل الخطابي النصراني يتمثل في تحميل الأحداث مالا تحتمل، وهذا الأسلوب كسابقه لا ينتج إنتاجاً صحيحاً، بل يقوم على المصادرة والاستدلال الدائري المفرغ؛ فتجدهم تارة يستدلون بأثر أعمال يسوع على ألوهيته كقول أحدهم: **"لم نجد من قبل أي معلم استطاع أن يستبعد تماما التافه والمؤقت والمزيف في الأنظمة التي بشر بها، ولا استطاع أحد أن يركز في أقواله عما هو خالد وعالمي ويربطها جميعا في تعاليم تظهر فيها تلك الحقائق كأنما قد وَجَدَتْ مستقرها الصحيح أخيرا، هذا يوضح الفرق بين التعاليم الأخرى وتعاليم المسيح"**(١)؛ ليستنتج من هذا صحة ألوهية المسيح وقيامته وغيرها من العقائد؛ والحقيقة أن مثل هذا الكلام الخطابي لا يُنتجُ صحة ألوهية المسيح -وإن أنتجَ مع أدلةٍ أخرى صحة نبوته- أو صدق قيامته من بين الأموات. إضافةً إلى أن هذا المنهج الخطابي يستخدمه حتى أتباع بوذا وكونفشيوس وزرادشت وغيرهم، فهم يقولون هذا وأكثر عن عظمائهم، ولكن هذا لا يبرهن صحة ما هم عليه على جهة الإطلاق، فضلاً عن أن يُنتج دعوى الألوهية. وهذا محمد ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين فعل هذا وأكثر، وليس هذا عندنا دليلاً على ألوهيته، كما أنه -حال انفراده- ليس دليلاً على صحة الإسلام؛ بل الدليل ما ثبت بالبرهان(٢).

ومن هذا الباب أيضاً استدلالهم بأن: **"هناك جانباً فريداً آخر ليسوع، وهو تأثيره على العالم الروماني. إنها لظاهرة تاريخية أن يغير يسوع الامبراطورية الرومانية رغم كونه يهوديا... إنَّ يسوع أطلق بمفرده حركةً استطاعتْ خلال ٣٠٠ عام أن تغير دين أقوى امبراطورية في العالم"**(٣)، والخطأ هنا في اعتبار هذا دليلاً على صحة دعوى الألوهية له؛ إذ ليس بحثنا في إثبات مطلق التأثير، وإنما في كون هذا التأثير المخصوص دليلاً على ألوهية المسيح.

---

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٩٤.

٢)) ولسنا ننكر هنا أن بعض المسلمين قد يمارس مثل هذا المنهج الخطابي، ولكن هذا لا يجعله برهانيا، كما أن الحقائق لا تختلف باختلاف مدعيها.

(٣) دليل البراهين الكتابية، ص٥٠-٥١، بتصرفٍ يسير.

وفي السياق ذاته يقول بعض المشتغلين بالجدل النصراني المعاصر بخصوص ميلاد المسيح –عليه السلام– بلا أب، بأنه "**ليس فقط كان الميلاد العذراوي حقيقياً؛ لأننا تعلمناه من الكتاب المقدس؛ لكن أيضا لأنه هو النوع الوحيد من الولادات المتوافقة مع شخصية وعمل يسوع المسيح، وكذلك خطة الله لخلاص العالم الضائع**"(١). وعلى منهجه هذا: لماذا لا يكون النزول مباشرة من السماء على هيئة بشرٍ هو الميلاد الأليق بالإله؟! والحقيقة أنَّ العقل مهما كافح لاعتبار الإله وُلِدَ بطريقةٍ بشرية دلالة على ألوهيته فهو يقاسي المصادرة والتناقض، وينتهي ضرورةً إلى: اطراح العقل وقبول دعوى الألوهية، أو إعمال العقل ورفض هذه الدعوى.

وفي جوابٍ على سؤال: كيف يمكن أن تكون قيامة المسيح دليلا على أنه ابن الله؟ يقول: "**أولا: قام بسلطان شخصه... ثانيا: بما أن المسيح أعلن صراحة أنه ابن الله؛ فإن قيامته من الأموات كانت ختم الله تصديقا على هذه الحقيقة... كما أن موعظة بطرس يوم الخمسين مؤسسة بشكل كلي على القيامة... كما أن رسائل العهد الجديد وسفر الرؤيا تصبح بلا معنى دون يسوع المقام**"(٢). وعلى القارئ هنا البحث عن الدليل ووجه الدلالة فيما يزعم؛ فقيامه بسلطان شخصه مصادرة، وكذلك الزعم بأنه أعلن بنوته، وأما مواعظ بطرس فهي في نفسها تفتقر إلى البرهان ناهيك عن أن تكون في ذاتها برهانا. وأما أن القيامة هي المعنى الذي يبث الحياة في رسائل العهد الجديد وسفر الرؤيا فهذه مشكلة الكاتب الذي انطلق من دعوى باطلة ليسقط عليها الأحداث كيفما اتفق، وغاية ما يقوله هنا هو التأكيد على أن صحة رسائل العهد الجديد وسفر الرؤيا متوقفة على صحةِ ما ذَكر، وأي دليلٍ في هذا؟! إذ محصلة استدلاله: إنَّ صحة القضية (أ) متوقفة على صحة (ب)؛ فلازمٌ أن تكون (ب) صحيحة. وهذا وإن أمكن قبوله في الجدل الداخلي للاهوت النصراني بين المؤمنين بقيامة المسيح؛ إلا أنه ليس برهاناً يمكن من خلاله أن يقدم الجدل النصراني المعاصر برهنةً صحيحةً للخارجين عنه.

---

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٨٤.

(٢) نفسه، ص٢٠٨-٢٠٩.

والأمر ذاته يسري في استدلالهم بالمعجزات، يقول أحدهم: **"إذا أصبح الله إنسانا؛ نتوقع أن يظهر تواجده غير العادي في أعمال غير عادية، وهي المعجزات"**(١)؛ متجاهلاً أن التاريخ يخبرنا بأن المسيح -عليه السلام- لم ينفرد بالمعجزات، فحتى **"معجزات الشفاء الجسدي... معجزات في مجال الطبيعة... معجزات إقامة الأموات"**(٢)، لم يختص بها المسيح -عليه السلام-، ومن يزعم هذا فإنه يدعي دعوىً عريضةً تتحدث عن مساحاتٍ هائلة من التاريخ لم يشهدها. ونحن -كمسلمين- نؤمن أن الله تعالى أحيى الطير لإبراهيم -عليه السلام- وأخرجه حياً من النار، وفلق البحر لموسى، وأنجى يونس من بطن الحوت، أجرى الكثير من المعجزات الطبيعية، ومعجزات الشفاء الجسدي، على يدي محمد ﷺ وإخوانه المرسلين بما فيهم عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام، والفارق كبير بين أن تكون هذه المعجزات دليلاً على صدق النبوة، أو دليلاً على الألوهية.

وهذا الغلط في الاستدلال الخطابي يسري أيضاً على ادعائهم بأن **"شهادة بعض أشهر المتشككين"**(٣) بوجود المسيح -عليه السلام- وعظمته تثبت العقائد النصرانية كما يزعمون. والواقع أن شهادة أتباعه والمعارضين(٤) مجتمعة لا تثبت أيًّا من هذه العقائد. وعلى فرض التسليم بصحة هذا الاستدلال فإنّه -عند التحقيق- يُنتج نقيض الدعوى؛ ألا ترى أن عدداً كبيراً ممن لم يؤمنوا بدين الإسلام أقروا بعظمة هذا الدين وعظمة نبيه محمد ﷺ، ودين الإسلام ينفي نفياً قاطعاً ألوهية المسيح ودعوى صلبه، فضلاً عن قيامه بعد الموت. وهذا يُنتج -وفق استدلالهم- صحةَ ما جاء به الإسلام، ومن ذلك الإقرار بنبوة المسيح عليه السلام لا ألوهيته، وبيان ما جاء به -عليه السلام- بطريقةٍ متسقة لا تؤذي العقل بالتناقض والمصادرات.

---

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٨٨.

(٢) نفسه، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣) نفسه، ص٢٨٨.

(٤) انظر: برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢٩١-٢٩٢.

وإلى جانب ما سبق يظهر الاستدلال الخطابي في الجدل النصراني في استخدم عبارات ضخمة مموهة لتطغى على العقل، فمثلا يقول أحدهم: **"لست أعرف حقيقة واحدة في تاريخ البشرية تؤيدها البراهين أمام عقل الباحث المنصف بشكل أفضل من المعجزة العظيمة التي أعطانا إياها الله وهي أن المسيح مات وقام من الأموات"**(١)، فأين البراهين على هذا؟ حتى الآن لم يعطنا هذا الكاتب ولا غيره -من المدافعين عن العقيدة النصرانية- برهاناً واحداً، فكلها مزاعم مبنية على أحداث تاريخية لم يستطع الجدل النصراني المعاصر إثباتها. ولو كان هناك برهانٌ واحدٌ لما توقفوا عن تقديمه والتلويح به في وجه كل مخالف.

والأمر ذاته يكثر في توصيف عصمة الكتاب المقدس فقد **"كانت يد الله ذات السيادة منخرطة... في قلب كل كاتب بشري"**(٢) للكتاب المقدس؛ وهذا بذاته دليل عصمته، ولذا فـ**"هو الكتاب الوحيد الذي: ١. كُتب على مدى خمسة عشر قرنا من الزمان تقريبا. ٢. كتبه أكثر من أربعين كاتبا يعملون في مختلف نشاطات الحياة... ٣. كُتب في أماكن مختلفة... ٤. كُتب في أوقات مختلفة... ٥. كُتب في أحوال نفسية مختلفة... ٦. كُتب في ثلاث قارات... ٧. كُتب بثلاث لغات... ٨. كُتب بعددٍ كبيرٍ من الأساليب الأدبية المتنوعة... ٩.ويعالج الكتاب المقدس مئات الموضوعات الجدلية التي تثير نوعا من تعارض الآراء متى طرحت... ١٠. على الرغم من تنوع موضوعاته إلا أن الكتاب المقدس يتناول قصة واحدة تتكشف للعيان على نحو تدريجي وهي قصة فداء الله للبشرية... ١١. وآخر الأمور وأهمها على الإطلاق هو أنه من بين جميع شخصيات الكتاب المقدس فإن الشخصية البارزة من أول الكتاب إلى آخره هي شخصية الله الحي الحقيقي الواحد المعلنة في شخص يسوع المسيح"**(٣)، وهو **"فريد في ترابطه... فريد في توزيعه... فريد في ترجمته... فريد في بقائه... فريد في**

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢١٧.

(٢) الكلمة المعصومة، ص٣٧٠.

(٣) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٥٠-٥٢. وانظر: وحي الكتاب المقدس، ص١٨-١٩.

تعاليمه... فريد في تأثيره على الأدب... فريد في تأثيره على الحضارة"[1]. والأمر الغريب في هذه النقاط التي ذكرها الكاتب في سياق الحديث عن تميز الكتاب المقدس أنها هي نفسها -باستثناء النقطة الأخيرة- النقاط التي تجعله أكثر عرضةً للتساؤل والقابلية للتحريف والتزوير.

والحقيقة التي يقررها الإسلام بمقتضى شهادة القرآن الكريم على الحق في الكتاب المقدس أنه لا يخلو من نور الوحي، وأصله -بحسب عقيدتنا الإسلامية- منزل من عند الله ﷻ؛ إلا أنه لا يمكن أيضا إثبات خلوه بطريقة علمية من التحريف. أما في تراثنا الإسلامي فالخلاف قائم بخصوص طروء التحريف فيه، وهل هو في لفظه أم في معناه وتأويله[2]، ومن وجهة نظرنا أن جميع الآيات تتناول إثبات ممارسة التحريف من الأتباع، لكنها لا تتحدث عن الكتاب المقدس في ذاته. وإذا انضم مثلُ هذا الاستقراء إلى مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: ٦٤] وعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وغيرها من الأدلة النقلية والعقلية التي تثبت عدم التحريف حتى قال ابن تيمية رحمه الله **"وقع النزاع في هذه المسألة بين بعض الفضلاء، فاختار هذا المذهب، ووهّن غيره، فأُنكر عليه، فأحضر لهم خمسة عشر نقلًا به"**[3]، وهو رأي علمين من أعلام المنقول والمعقول أعني البخاري والرازي رحمهما الله تعالى[4]، بل هو رأي طائفةٍ **"من أئمة الحديث والفقه والكلام"**[5]، وقريب منه الرأي المختار عند ابن تيمية -صاحب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- إذ يرى أنه **"قد زِيدَ فيها، وغُيّر ألفاظٌ يسيرةٌ، ولكنَّ أكثرها باقٍ على ما أُنزل عليه،**

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٤٩-٥٩.

(٢) وانظر في هذا: إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ١١٣٦، والموقف القرآني من التوراة والإنجيل باعتباره أساساً للتعايش سورة المائدة أنموذجاً: دراسة وصفية تحليلية نقدية، خالد القرني، مجلة العلوم الشرعية- جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٨، ١٤٤٢ه.

(٣) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ١١٣٧.

(٤) نفسه، ٢/ ١١٣٦ وما بعدها.

(٥) نفسه، ٢/ ١١٣٦.

والتبديلُ في يسير منها جدًّا"[1]= أقول إذا تأملت هذا كله تعين لديك -على أقل تقديرٍ- أن الجزم بتحريف الكتاب المقدس مسألةٌ جديرة بالتأمل والتريث قبل القطع أو الترجيح.

والذي يعنينا هنا هو التأكيد على أنه كثيراً ما يقرر الجدل النصراني مضمون العقائد المسيحية لاسيما في التثليث وعصمة الكتاب المقدس بأساليب خطابية توهم بالعقلانية وإعمال المنطق؛ كقول أحدهم: **"في الحقيقة لا يوجد في الكتاب المقدس من يقول هذه الكلمات: (هناك ثلاثة أقانيم في واحد، الله وهو الآب، والابن، والروح القدس)"، لكن بالرغم من هذه الحقيقة، فإن عقيدة الثالوث واضحة تماما في الكتب المقدسة، لكن كيف توصلنا لذلك؟ بالطرح المنطقي لمبدأين نجدهما واضحين في الكتاب: ١- هناك ثلاثة أقانيم تقول إنها الله، هم الله: الآب، والابن، والروح القدس. و٢- هناك إله واحد؛ المنطق البسيط يدعونا باستعراض هاتين الحقيقتين أن نتوصل إلى نتيجة وحيدة هي: أنه لا يوجد مسيحي حقيقي يصعب عليه أن يكتشف أن هناك ثلاثة أقانيم في إله واحد. والآن وبنفس المنطق؛ يُعلم الكتاب المقدس موضوع عصمته بطريقة مماثلة لعقيدة الثالوث... أولا: نفس كلمات الكتاب، كلها وحي من الله، وقد كتب بولس: "كل الكتاب هو موحى به من الله"... ثانيا: يُعلمنا الكتاب بكل تأكيدٍ أنَّ كل ما ينطق به الله هو الحق، وبلا أي نوع من الخطأ. قال يسوع مخاطبا الآب: "كلامك هو حق"**... "[2]. والحقيقة أن المسيحي بلا راهب يوجه ذهنه للثالوث لا يستطيع حتى أن يفكر بهذا، ثم إذا كان الكتاب هو كلام الله فعليه أن يكون موضحاً للثالوث توضيحاً صريحاً، وإلا أصبح كاتب الكتاب عاجزاً عن موافقة شارحيه في أهم ركن من أركان المسيحية. إن هذا القول يخلي الكلمات من مضامينها ويجعلها بلا جدوى، وانظر إلى قول أحدهم: **"إن استخدام يسوع للقب (الآب) برهان قوي على معرفة يسوع لحقيقة ذاته، وإدراكه أنه الكلمة المتجسد،**

---

(١) نفسه، ٢/ ١١٣٦.

(٢) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣١٣. وانظر: أين قال المسيح أنا هو الله فاعبدوني؟، ص١٠. وانظر: الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص١٥٢. وانظر: المسيح من هو؟، ص١٠٨.

المساوي لله في الجوهر، إله حق من إله حق"[1]، وحقيقة هذا الاستدلال أنك عندما تقول: "الله ربي" فإنك تعني: أنك الكلمة المتجسد، المساوي لله في الجوهر، إله حق من إله حق. وللمتأمل هنا أن يقول: أخبرني -والحال هذه- ما فائدة الحديث إن كان سيُفهم على ما يريده السامعُ لا المتحدث!؟ وما فائدة الدفاع أو الشرح أو التفسير!؟. لكنْ هكذا يُوقِع المنهجُ الخطابي الجدلَ النصراني في مجازفاتٍ لا برهان عليها، وأدلةٍ مفرغةٍ من معانيها لا يمكن لها أن تنتج إنتاجاً صحيحاً.

ونلحظ ذلك أيضاً في سياق ردهم على الباحثين الذين يأخذون على العقائد النصرانية نقصَ الأدلةِ التاريخيةِ عليها، بقول أحدهم: **"وليس هناك ما يدعم فكرة نقص الأدلة سوى الافتراض المسبق بأنها غير حقيقية"**[2]. وكما يقول نفس الكاتب: **"فالتسجيل الناقص يمكن أن يكون صحيحا من الناحية الموضوعية، لكنه ليس حقيقيا بالكامل"**[3]، ومحصلة استدلاله هنا: أن المخالف يرى نقص الأدلة لكونه لم يصدق بالمسألة التي هي محل البحث. ولعمري إن هذا لمن أعجب ما يمكن الوقوف عليه، أن ترى منافحاً عن أمرٍ لم يستطع إقامة الدلائل عليه، فإذا قيل له: هذه الأدلة ناقصة، قال: عليك أن تصدق بها أولاً وستكتشف حينها أن أدلة صدقها كاملة. والحقيقة أن ما يدعم فكرة نقص الأدلة هو الكثير الكثير من الثغرات التي لم تسد، ويظن الكاتب أنه يسدها بقوله إن نقص الأدلة مجرد افتراض مسبق، لماذا كما يقول نفس الكاتب **"هذا الصمت الرهيب الذي يختص بأقدس الأماكن في الوجدان المسيحي، ألم يخطر لواحدة من النسوة ومازال شخص يسوع ماثلا في ذهنها أن ترغب في قضاء قليل من الوقت في رحاب هذا المكان المقدس؟ ألم يخطر ببال بطرس أو يوحنا أو يعقوب أن يشعروا بقداسة هذا المكان الذي يضم داخله جسد المعلم العظيم؟"**[4]. ولو كان المسيح مات ودفن ثم قام،

(١) المسيح من هو؟، ص١٣٣.

(٢) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٢١٨.

(٣) نفسه، ص٣٢٨.

(٤) نفسه، ص٢٣٩.

لكان محل دفنه الذي قام منه مزاراً، وليس مكاناً يحوطه الصمت الرهيب، إن هذا يضيف احتمالا ثالثاً بعدم قتل المسيح -عليه السلام- أصلاً، والذي يتجاهله الكاتب وغيره من المبشرين بشكلٍ يثير الدهشة والتساؤل عن مدى مصداقية هذا الطرح المتحيز.

والذي يسلمنا إليه ما سبق هو أن تذرع الجدل النصراني بالخطابة لم يخرجه حقيقةً عن المغالطات الناتجة عن فشله في الاستناد على العقل؛ فالخطابة وإن كانت تخاطب الوجدان لا العقل، وتبغي الدليل المؤثر في العاطفة لا المقنع للعقل؛ إلا أنها تتطلب الصحة التي تضمن قبولها. والجهد الخطابي -الذي عمل الجدل النصراني عليه- هو في حقيقته إما شعارات مزيفة، وإما تحميل للأحداث -هذا على فرض ثبوتها- ما لا تحتمل، والمجازفة في مد نطاق السياقات لجعلها تنتج ما لا يمكن لها أن تدل عليه. إذا تبين هذا فلنا أن نتساءل عن مدى تمكن الجدل النصراني المعاصر من البرهنة التاريخية على صحة هذه العقائد.

هذا ما سيجيبنا عليه المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث

الأدلة التاريخية التي يوردها النصارى المعاصرون للبرهنة على التثليث وصحة الكتاب المقدس

يقيم الجدل النصراني المعاصر وزناً كبيراً للأدلة التاريخية، ويعتدُّون بالفرق الذي يشكله السند التاريخي لعقيدةٍ من العقائد، ويعدونه دليلاً أصيلاً على أنها صادقةٌ وصحيحةٌ؛ **"فالإيمان المسيحي** -كما يقول أحدهم- **يرتكز على التاريخ"**(١)؛ ولذا تؤكد منهجيةُ الجدل النصراني المعاصر على أهمية التاريخ في إثبات العقائد، وتجد أصحابَها يكثرون من تناقل المقولات التي تجعل التاريخ في صالح العقائد النصرانية وتدوينها مُسَلَّمةً ينطلقون منها، ويوهمون المتلقي بثبوتها، ومن ثَمَّ يبنون على هذا الإيهام. يقول أحدهم : **"إن حقيقة حدوث قيامة يسوع هي مسألة تاريخية، والمسألة التاريخية عند هذه النقطة لا يمكن الهروب منها، ومن ثم يجب حسم هذه المسألة على مستوى الحجج التاريخية"**(٢)، ويرون أنه **"يمكن القول إن الأدلة التاريخية على القيامة أقوى من أي معجزة أخرى ذُكرت؛ لأنه كما يقول بولس: لو لم يكن المسيح قد قام من الأموات، فباطلة كرازتنا، وباطل أيضا إيمانكم"**(٣). ولا شك في أهمية التاريخ بذاته دليلاً يمكن أن يُثبَتَ أو يُنفى من خلاله ويُبنى عليه، إلا أن الفحص هنا ليس عن هذه المسألة الرئيسة في الاستدلال، وإنما عن كيفية إعمال الجدل النصراني المعاصر للتاريخ في إثبات العقائد، وهل يُنتج هذا الاستدلال ذلك الإثبات حقيقةً؟، ومن هنا رأينا أن نأتي إلى الحِجاج الذي يقيمه الجدل النصراني المعاصر والمستند إلى التاريخ في محاولته إثبات العقائد.

بدايةً نجد الاستدلال بالتاريخ في إثبات عقيدة التثليث/ يسوع الرب -تعالى الله ﷻ- يرتكز على ثبوت شخصية المسيح -عليه السلام- والأخبار الواردة في ذلك من العهد الجديد وغيره من المصادر؛ بحيث تورِد هذه المصادر ما خلاصته: أن يسوع شخصيةٌ تاريخيةٌ حقيقية، ويسوع عاش في فلسطين في القرن الأول، وقام بأعمال الشفاء والخوارق، وأنه **"رغم موت**

---

(١) برهان جديد يتطلب قراراً جريئاً، ص١٤٨.

(٢) نفسه، ص٢١٥.

(٣) نفسه، ص٢١٦.

العار الذي اجتازه، إلا أن أتباعه الذين كانوا يؤمنون أنه لا يزال حيًا انتشروا إلى ما وراء فلسطين...، وأن مختلف ألوان البشر... قد عبدوه كإلهٍ بحلول القرن الثاني الميلادي"(١)، ويُبنى على هذا أن رجم اليهود ليسوع -باعتقادهم- يُعد دليلا على ثبوت صحة نسبة تصريحات الألوهية إليه؛ بحيث يقال: لو لم يكن صحيحاً أنَّ يسوع ادعى الألوهية لما رجمه اليهود فـ**"الرب أعلن ألوهيته بأسلوبٍ ثابتٍ بلا نزاع بشهادة أعدائه"**(٢). والحقيقة أن هذا الاستدلال لا يُنتج الحقيقة التاريخية المطلوبة؛ لكونها أولاً تترك احتمالاً لكون سبب الرجم -هذا على فرض صحته- ليس ادعاء التجسد، وإنما قد يكون ادعاء النبوة أو الملك عليهم(٣)، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن هذه الحجة لا تعتمد مطلق الاستنباط وحده منهجاً، وإنما مجال تحقيقها هو الخبر الصحيح الصريح، والمعتمد عندهم في هذا أنهم حتى يُثبتوا التثليث/ التجسد تاريخياً يعودون إلى الشهادات المباشرة وغير المباشرة(٤) من الكتاب المقدس ذاته بعهديه(٥)؛ لكن واقع شهادات العهد الجديد يمسها كثيرٌ من المشكلات التي تشكك في صحة ثبوتها، ويتبع ذلك ضرورةً الخطأ في صحة تأويلها وإعمال الفكر اللاهوتي المسيحي لها. فمن ذلك ما تَقدم به نيوتن من وصفٍ تاريخي لتحريف نص التثليث(٦)، وهذا بالتالي يولجنا إلى مصادرات الجدل النصراني على صحة النصوص المستشهد بها في عقيدة التثليث وغيرها، وإيقافهم على أنهم لا

---

(١) برهان جديد يتطلب قراراً جريئاً، ص١٦٠، وانظر: دليل البراهين الكتابية، ص٤١ وما بعد.

(٢) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص١٦٤.

(٣) يستند هذا -في رأينا- على البحث اللغوي في دلالات كلمة الإله في اللغة العبرية واليونانية ودلالاتها في ذلك العهد الزمني.

(٤) وهي مجموع معجزات سيدنا عيسى عليه السلام التي أيده الله تعالى بها.

(٥) العمدة في هذا هو نص رسالة يوحنا الأولى، ولا تكاد تشير الاستشهادات التي يأتون بها من العهد القديم أو غيره على عقيدة التثليث بشكل صريح؛ وهم فعلاً يقرون بأن عقيدة التثليث/ التجسد وليدةٌ لنصِّ العهد الجديد. انظر في هذا: المسيحية في عقائدها، ص١٦٣ وما بعدها، إله المسيحيين، ص٢٥٧، برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص١٤٧-١٧٣، الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، ص٩٣-١٠٠.

(٦) انظر: وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس: التثليث والتجسيد، إسحاق نيوتن، ترجمة هيثم سمير وآخرين، مركز نهاء للبحوث والدراسات- بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص٤٣ وما بعد.

يملكون الدليل التاريخي الذي يَسند صحةَ دعواهم. والمفارقة أنك تجدهم حيناً يقرون بأنه لا يوجد دليل تاريخي محض يسند روايتهم لحقيقة يسوع عليه السلام وبالتالي حقيقة تجسده؛ ولذا تجد العديد من الاستدلالات القائمة على مصادرة النتائج مثل القول بأنه: **"ببساطة، ليس هناك من طريقة لتفسير الإيمان بقيامة المسيح بمعزل عن حقيقة حصولها"**(1)، و**"عبْر كلِّ الأبحاث عن يسوع ظهر على السطح الكثير من الآراء المختلفة. البعض يرى اختلافاً بين يسوع التاريخي والمسيا الذي نؤمن به وهم يقولون إننا لا يعنينا ما قاله أو فعله يسوع التاريخي. لكن كل ما يهمنا هو المسيح الذي نؤمن به"**(2). وأنت ترى في هذا بوضوحٍ ترسخ نتيجة مقدمتهم القائمة على أن الإيمان أولاً ثم يأتي العقل؛ لتجعل هذه المقدمة صحة النص متوقفة على إقرار الإيمان الكنسي، وليس على أن الإيمان لا بد أن يستند إلى نصٍ صحيح. ومثل هذا الاستدلال لا يقوم إلا على المكابرة في الجدل النصراني المعاصر، والإصرار على الاستدلال بما لا ينتج صحة الدعوى، وهذه النقطة -من وجهةِ نظرنا- هي التي يتمركز فيها خطأ الاستدلال بالتاريخ في الجدل النصراني اليوم.

والحقيقة أن اعتقادهم بعصمة الكتاب المقدس وبطلان القول بوقوع التحريف فيه يَخرج من الخطأ السابق نفسه من جهة، والانتقاء التاريخي والقفز عليه أحياناً كثيرة من جهةٍ أخرى؛ فيقوم استدلالهم بالتاريخ على عصمة الكتاب المقدس -بدايةً- على أن الكتاب بعهديه مكتوبٌ من القِدم، فالكتابة معروفة قديماً وهي الوسيلة الأولى لحفظ وتثبيت الكتاب المقدس(3)، وقد أثبت التاريخ تطابق ما في الكتاب المقدس مع الأزمان التي حكى عنها، فـــــــ**"لقد رأينا من قبل أن إبراهيم يساوم مع عقرون لشراء مغارة المكفيلة، وهذا يتفق مع الممارسات القديمة. من الواضح أن إبراهيم كان يريد أن يشتري المغارة فقط؛ لكي يدفن زوجته سارة، إلا أنه كان محكوما بالممارسات الحيثية، فكان عليه أن يشتري ليس المغارة فقط،**

(1) دليل البراهين الكتابية، ص٨٦.

(2) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٤٨٧. وانظر: المسيحية في عقائدها، ص١٦٦، ١٦٧.

(3) انظر: برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣٨٦. وحي الكتاب المقدس، ص٢١٣-٢٢٣.

ولكن الأرض والشجر الذي فيها"(١). وهذه المقدمات لا غبار عليها، ولكنَّ ما بُني عليها من استنتاجاتٍ قابلةٍ جداً للتحوير هو ما يثير التساؤل؛ حيث يزعم بعض علماء النصارى بأنها **"وحدها المسيحية تراهن في صحة ادعاءاتها على أحداثٍ تاريخية مستعدة للتحقيق النقدي، هذا الاستعداد يفسر اهتداء العديد من المشككين على مدى التاريخ"**(٢). والحقيقة أنَّ ثبوتَ الحدثِ تاريخياً لا يوجب الإيمان بمضمونه؛ وإلا لوجب الإيمان بنبوة المتنبئين الكذبة الذين ثبت تاريخياً صحة وجودهم، ثم إن لدينا الكثيرَ من الأحداث الناقضة للعقائد النصرانية، والثابتة تاريخياً بمنهجيةٍ علميةٍ أشد تماسكاً؛ وبالتالي يلزمهم الإيمان بها، ألا ترى أن الثبوت التاريخي للدين الإسلامي، ومناقضته للعقائد النصرانية المحرفة مما لا يشكك فيه أحد؟؛ فلازمٌ حينها -وفق الاستدلال النصراني المعاصر- إثبات صحته والقولِ بمقتضى عقيدته من إبطال التحريف النصراني. ثم إن اهتداء المتشككين -كما يزعم الكاتب- لا يعد دليلاً على صحة شيء أو بطلانه، فضلاً عن صحة هذا التشكك واهتداء المتشككين تاريخياً؛ إذ لعله ليس سوى وسيلة لتمثيل الاقتناع بالنصرانية، ومن يعرف الدراما النصرانية لا يستبعد مثل هذا على المزاج المسيحي. لكن الذي يعنينا هنا هو الكشف عن منطقية الاستدلال ومدى إنتاج المقدمات لصحة الدعوى، ومحصلة هذا الاستدلال هي: أن تطابق ما في الكتاب المقدس مع ما ثبت من أحداثٍ تاريخية كانت في زمانه دليلٌ على صحته. وهذا لعمري مما يضحك منه العقلاء؛ فإنه يستند إلى مقدمةٍ كليةٍ مفادها: أن كلَّ كتابٍ كُتب في حقبةٍ تاريخيةٍ ما، وكان هذا الكتاب مشتملاً على أحداثٍ ثبتَ حدوثها في تلك الحقبة؛ فإن هذا دليلٌ على صحة ذلك الكتاب. وفي حكاية هذه الحجة ما يُغني عن إبطالها.

وأدلة الجدل النصراني المعاصر على صحة الكتاب المقدس تنقسم إلى: برهانٍ خارجي، وبرهانٍ داخلي؛ حيث يعتمد البرهانُ الخارجي عندهم على التاريخ والروايات التاريخية وسير المخطوطات، مقرراً أن **"موثوقية نص العهد الجديد ترتكز على عدد كبير جدا من**

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣٩٠.

(٢) دليل البراهين الكتابية، ص٨١.

المخطوطات"(١)، ويعتمد النصارى كلياً في هذا على ما ذكره بعض السابقين في مجمع نيقية، وأقروه مما يوافق ما اختاروه من أحداث التاريخ كما سيظهر معنا، وكمثالٍ بسيطٍ حول هذا النوع من الاستدلال يقول أحدهم عن إنجيل لوقا: **"ومن غير المعقول الظن بأن الكنيسة الأولى لم تكن تعرف تاريخها، وقبول الكنيسة لهذا السفر يُعد دليلاً على صحته"**(٢)؛ وهنا يتجلى التقليد، وتظهر الطاعة العمياء التي تناقض كل مبدأ علمي، لا لشيءٍ إلا لأن أشخاصاً نجهل حقائقهم اختاروا لنا أمراً ما؛ فهم أعلم به منا؛ وينبني على ذلك صحته. فانظر لهذا الاستدلال الذي يقال بأنه علمي في الوقت الذي يطرح فيه أبجديات المنهج العلمي.

والواقع في كثيرٍ من الأوساط العلمية اليوم -بإقرار المسيحيين أنفسهم- هو التصريح بتعذر الدليل التاريخي على وجودِ نسخةٍ أصليةٍ للكتاب المقدس، وأن هناك جهلاً بكُتّاب الأناجيل الأربعة، كما أن التحريفات واقعة في نصوص الأناجيل الحالية؛ وذلك راجعٌ للخطأ في النَّسخ تارةً، وتدخلِ الآباء أنفسهم تارةً أخرى؛ فالأناجيل بقيتْ حقبة من الزمن تُكتب وتتكون متأثرة بالمجتمع والسلطات شأنها شأن أي شهاداتٍ وروایاتٍ تاريخية، فـ **"الأناجيل ليست تحقيقاتٍ تاريخية...؛ إنها شهادات إيمان الجماعة الأولى والإنجيليين"**(٣)؛ ولذا كان (اليهود المسيحيون) وهم الذين ظلوا (يهودا مخلصين) **"يعتبرون بولس كخائن، وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو"**(٤)، **"وحينما فحص الكُتَّابُ المسلمون كلا من العهدين القديم والجديد بدقةٍ اندهشوا من أن هذه النصوص ليس لها سلسلةُ تواتر، ومِن أنَّ اليهود والمسيحيين لم يهتموا بإنشاء مثل هذه السلسلة من التواتر"**(٥)؛ وهكذا يفقد الجدل النصراني المعاصر المرتكزَ

---

(١) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٧٥.

(٢) نفسه، ص٢١٥.

(٣) المسيحية في عقائدها، ص١٦٥، ١٦٦.

(٤) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص٧٨. وانظر: اتفاق البشيرين، ص ٣٠- ٣٥، وحي الكتاب المقدس، ص٦٣ وما بعد، تطور الأناجيل، ص٧٤- ٧٦، استعادة النص الأصلي للإنجيل، ص٢٥- ٢٩، الموقف القرآني من التوراة والإنجيل باعتباره أساسا للتعايش، ص٤٩ وما بعد.

(٥) الإسلام ونقد العهد القديم، ص١١٠.

الرئيس في الاستدلال التاريخي وهو تواتر الرواية هنا، بالإضافة إلى صحة الرواية المتفق عليها؛ حيث تقوم هذه الرواية على تاريخٍ مختزلٍ تختلف فيه هذه الرواية عن الروايات الأخرى غير المعترف بها؛ إذ يشير البحث التاريخي إلى انقسام المسيحية الأولى إلى: المسيحية الغنوصية (الكنيسة الغنوصية) أسسها سايمون الساحر، والمسيحية اليهودية (كنيسة الختان) أسسها يعقوب أخا الرب بن يوسف النجار، والمسيحية (القويمة) (كنيسة الأم) أسسها بولس ثم بطرس(١)، وهذا عكس ما يوحي ويوهِم به علماءُ النصارى من أن المسيحية كانت كلمة واحدة مبنية على عقائد موحدةٍ هي التي أقرها واختارها مجمع نيقية فقط، كما تتجاهل وجود أناجيل كثيرة تختلف عن الأناجيل الأربعة في جوهرها، وتتنكر لها، وتدعي الإجماع على الثالوث والقيامة ونحوها من العقائد(٢). والحقيقة أن الاستدلال بالتاريخ لا يمكن له "**إهمال الاعتماد على الأناجيل الكثيرة الأخرى، غير الأربعة، الذين أُطلق عليهم اسم الأناجيل (الأبوغرافوية) والأصح تسميتهم (الأناجيل اللانيقاوية)، وهي أناجيل لاحقتهم الكنيسة وأعدمتهم عبر العصور، لكنْ لحسن الحظ وصلنا بعض المهم، الذي كُشف عنه صدفةً في بلدة نجع حمادي في مصر**"(٣)، كما "**كان آريوس، ذلك القس الليبي الأصل، والذي شهد له الجميع بالذكاء واللباقة، والتف حوله العديد من رهبان الإسكندرية، يرى بطلان ما تعتقده كثرة من المسيحيين بأن المسيح ابن الله مساو للإله الآب، وانتقد ما أسماه بدعة تأليه المسيح وكل مؤيديها... وما كانت الآريوسية وليدة الصدفة، بل كانت امتدادا عقائديا لتجمعاتٍ دينية عديدة سبقتها، بدأت تتكون منذ عصر الرسل... ولُقب أتباعه إلى اليوم: أعداء المسيحية، كما أُحرقت كتبه كلها**"(٤)، "**كما اكتشفت ثلاث وريقاتٍ من إنجيل مريم، وبعض أوراقٍ مدونة باللاتينية والإغريقية والقبطية تعود لكلٍّ من: إنجيل برثولماوس، وإنجيل نيقوديموس. وعُثر**

---

(١) انظر: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ص٣١٢-٣١٣.

(٢) انظر: المسيح من هو؟، ص٩٨-١٠٥، وحي الكتاب المقدس، ص١٠٩-١٢٠.

(٣) الأناجيل النصوص الكاملة، ص١٨.

(٤) إنجيل برنابا دراسة مقارنة، ص١١-١٢-١٣،

أيضا على إنجيلٍ يدعى إنجيل الحقيقة...أحدث الأناجيل اكتشافا، وهو إنجيل يهوذا الإسخريوطي"(١). أما بخصوص إنجيل برنابا الذي أنكره النصارى فـــ **"يمكن أن تكون أصول هذا الإنجيل من تلك الجماعات، ثم أُقحمت عليه عباراتٌ لاحقة"**(٢).

وعلى صعيد وقوع الخطأ في هذه الرواية المختزلة المقررة بموجب الاصطلاح والتواضع البشري لا غير فإن الجدل النصراني اليوم ينفيها بأنه **"من الواجب على القائلين بحدوث تحريف في هذا الإنجيل أن يذكروا: ١-الآيات التي أصابها التحريف، وماذا كانت قبل تحريفها. ٢-أسماء الذين قاموا بالتحريف، وفي أي وقت قاموا به، وماهي غايتهم من تصرفهم هذا. ٣- كيف استطاع هؤلاء الأشخاص أن يقوموا بالتحريف مع أنه كان يوجد منذ القرن الثاني الميلادي آلاف النسخ من الإنجيل في بلادٍ متفرقة وبلغات متعددة، الأمر الذي يتعذر معه إجراء تحريف فيها جميعا. ٤- وأخيرا أن يذكروا الطريقة التي لجأ إليها الأشخاص المذكورون لإخفاء التحريف المزعوم، حتى لم يَستطع اكتشافَه إلا المعترضون، وذلك بعد مئات السنين من حدوثه!"**(٣). والحقيقة أن هذا كله ليس واجباً؛ لأنَّ النَقَلة أصلاً غير معروفين، وهذا أول خطأ في المنهج يقفز عليه الجدل النصراني المعاصر، إضافةً إلى عدم حصر جميع المنقولات. ورغم هذا فإن نيوتن يعطينا نموذجاً مبسطاً عن بعض التناقضات التي بين هذه الأناجيل وتأثرها على مدى عصورٍ متفاوتة بقوله: **"تاريخ تحريف النص باختصار كالتالي: أولا: قام بعض اللاتينيين بتفسير الروح الماء والدم بأنها كناية عن الآب الابن والروح القدس، لإثبات أن هؤلاء الثلاثة هم واحد"**(٤) و **"في كورنثوس الأولى ١٥، توجد في الهامش إشارة إلى قراءةٍ مختلفة وهامة، في متى ١٣:٦ حيث قاموا في نسختهم بترك نص النسخ اليونانية، وعدلوه لكي يوافق النص اللاتيني، قاموا بوضع هامشٍ لتبرير فعلتهم، وهنا أيضا**

(١) إنجيل برنابا دراسة مقارنة، ص١٩.

(٢) نفسه، ص٣١.

(٣) إنجيل برنابا إنجيل مزيف، ص٩-١٠.

(٤) وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس، ص٤٣.

حيث لا توجد شهادة (الذين في السماء) في النسخ اليونانية، وضعوا هامشا توضيحيا ثالثا، ليأمنوا نفسهم من اللوم على طباعته"(١)، ويقول بعضهم في سياق الادعاء بأن التاريخ وسيرة المخطوطات تثبت صحة ما فيها: **"الحقيقة الأولى: وجود آلاف المخطوطات اليونانية واللاتينية وأوراق البردي والمخطوطات البوصية، أقرب إلى النسخ الأصلية من أي أدب قديم آخر. الحقيقة الثانية: عدم وجود تزوير مثبت، أو خطأ لأي كاتب من كتاب العهد الجديد. الحقيقة الثالثة: وجود كتابات من مصادر مسيحية موثوقة من خارج العهد الجديد. الحقيقة الرابعة: وجود عدد من السجلات اليهودية وغير الدينية التي تتكلم عن يسوع. الحقيقة الخامسة: وجود بيانات أثرية مفصلة تتعلق بالعهد الجديد. الحقيقة السادسة: وجود عدد من الأعداء الأشداء ليسوع والكنيسة الرسولية الذين ثبت تزويرهم ومحاولة اختلاقهم المشاكل. الحقيقة السابعة: حضور شهود أحياء للأحداث المسجلة. الحقيقة الثامنة: تقييم المحافظين الإيجابي، وحتى بعض المراجع الليبرالية، لأصالة المؤلفين الكتابيين والتاريخ المبكر الذي كتب فيه العهد الجديد. الحقيقة التاسعة: الاتزان العلمي، والانتكاسات الفعلية لاستنتاجات المدارس النقدية التي قوضت أساساتها ومصداقيتها. الحقيقة العاشرة: الشهادات القانونية وغيرها من الشهادات تدل على مصداقية العهد الجديد"**(٢)؛ والحقيقة أن ما ذكر في النقطة الأولى من اختلاف اللغات يُعد نقطة ضعف لا قوة؛ لثبوت مشاكل الترجمة. أما كثرة المخطوطات المدعومة من الامبراطورية فطبيعي جداً لاسيما في ظل حرق كتب المخالفين -كما ثبت في التاريخ- حتى قرون متأخرة. أما النقطة الثانية فإن عدم ثبوت التزوير -إن ثبت هذا- لا يثبت عدم وقوعه؛ فعدم وجود النسخ الأصلية ليست معضلة يسهل الخروج منها. أما النقطة الثالثة، فلو كانت المصادر الخارجة عن العهد الجديد والناقلة للأحداث التاريخية تؤمن بالقيامة أو الثالوث أو شهدت ما يثبتها لما كانت خارج العهد الجديد، هي فقط نقلت من الأحداث ما هو حمال أوجه، وأسقط عليه النصارى ما يريدون، كما أن البيانات الأثرية كلها لا

(١) وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس، ص٧٧.

(٢) دليل البراهين الكتابية، ص٣٢٥-٣٢٦. وانظر: الكلمة المعصومة، ص٣٩٠-٣٩٦.

تثبت ثالوثاً ولا قيامةً. وأما ثبوت تزوير الأعداء الأشداء فلم يستطع الجدل النصراني المعاصر اليوم أن يُثبت عدالة الكنيسة من أصلها حتى تُقبل شهادتُها في دعوى التزوير وغيره. وأما التقييم الإيجابي من الليبراليين والمحافظين فبإمكان البوذيين والهندوس وغيرهم الحصول على أعلى منه. أما عن الاتزان العلمي فإن الجدل النصراني لا يمكنه الاستدلال به؛ لاختزال الرواية القائم عليها استدلاله. أما الشهادات القانونية فهي كمن يطبع لنفسه شهادة الدكتوراه ويعلقها حتى يُصدِّق حصوله عليها.

وفي السياق ذاته يقول آخرون بأنَّ لنسخ الكتاب تعليمات صارمة و"**إنه نتيجةَ هذه التعليمات الحازمة فإن الأخطاء في عملية نسخ العهد القديم كانت نادرة فعلا، بمعدل حرف واحد من كل ١٥٨٠ حرفا. ومعظمها في عدد قليل من النسخ أو أحيانا في نسخة واحدة فقط**"(١). والحقيقة أن هذا النسخ كان بعد الحرق -الذي حصل في مجمع نيقية- لكل ما يخالف الهوى الامبراطوري. ورغم هذا فإن الإقرار بوجود خطأ في حرف أو كلمة لا يعد إلا إثباتا لمطلق التحريف مهما قل؛ وهو نقيض الدعوى المراد إثباتها.

وعلينا الانتباه إلى أننا "**إذا فحصنا أسلوب الرسائل وجدنا أنه يختلف تماما عن أسلوب النبوة؛ فالأنبياء كانوا يؤكدون دائما أنهم يتحدثون بتفويض من الله... فالحواريون يستعملون الاستدلال في كل الأحيان، حتى ليبدو أنهم لا يتنبؤون بل يجادلون**"(٢)، والنتيجة: أن البرهان التاريخي الخارجي لعصمة الكتاب المقدس لا يمكنه أن يدل على أكثر من أنه "**تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى، ثم جمعها وأقرها مجلس الفريسيين. وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة المقننة بقرارِ بعض المجامع الكنسية التي رفضت في الوقت نفسه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها منعدمة القيمة**"(٣)، وليس لهم حينئذ إلا أن يقولوا: بأنه "**لا يمكن منطقيا لعلم الآثار أن يكون في موقع القاضي الذي يحكم على الكتاب المقدس**

---

(١) وحي الكتاب المقدس، ص٥٤.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص٣١٧-٣١٨.

(٣) نفسه، ص٣٣٣.

كلما واجهنا تناقضا ظاهريا"(١). لكن علم الآثار لن يناقض ما ليس موجودا (كالقيامة والثالوث)، لكنه سيحكم من خلال الموجود في مخطوطات وأحافير على ما هو موجود من الكتب، لكن هذا وإن كان يستلزمه المنهج العلمي ويستدعي وقتا وجهدا كي نجد جميع ما أخفي؛ إلا أن الحاصل اليوم من أنَّ بعضاً من فقرات الأناجيل قد تم الاعتراف بعدم صحتها **"ومع ذلك أعلنت الكنيسة بقانونيتها"**(٢). والذي يعنينا هنا هو التأكيد على أن نتيجة حوارنا مع العقل النصراني اليوم تنتهي إلى أن مزاعم البرهان الخارجي على صحة الكتاب المقدس مجازفة يفضحها البحث التاريخي.

وفي هذا السياق يقول أحدهم: بما أن "**١- علم الآثار لم يبرهن على صحة الكتاب المقدس، لكنه يؤكد تاريخيته ويشرح عددا من نصوصه. ٢- علم الآثار لم يفند آراء النقاد الراديكاليين بشكل كامل، لكنه تحدى كثيرا من فروضهم"**(٣) و"**علم الآثار لا يبرهن على أن الكتاب المقدس هو كلمة الله، كل ما يفعله هو أن يؤكد تاريخية وموثوقية الروايات"**(٤)؛ فـــــــ **"ليس هناك دليل أكثر إقناعا من شهادة الخصوم، وحقيقة أن الرب أعلن ألوهيته بأسلوب ثابت بلا نزاع"**(٥)، ولذا **"احتكم الرسل في العهد الجديد إلى أمرين في حياة يسوع الناصري لإثبات مسيانيته، أولا: قيامته، وثانيا: النبوات المسيانية التي تحققت فيه"**(٦)، وبالتالي فإن **"أهمية النبوة: ١-تدل على أن هناك فكرا إلهيا واحدا للعهدين القديم والجديد. ٢-تثبت حقيقة الله. ٣-تبرهن على ألوهية يسوع. ٤-تثبت وحي الكتاب المقدس"**(٧). وأنت تلحظ في هذا الاستدلال الشعور بأن علم الآثار لا يساعد على إثبات الدعوى المراد إثباتها، هذا من

---

(١) دليل البراهين الكتابية، ص٢٤٢.

(٢) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، ص١٣١.

(٣) برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ص٣٣٥.

(٤) نفسه، ص٣٣٤.

(٥) نفسه، ص١٦٤.

(٦) نفسه، ص١٨٣.

(٧) نفسه، ص١٨٥.

جهة، ومن جهةٍ أخرى فإن البرهان الداخلي ينبثق من ذات النص؛ فيُظهر أنّ ألوهيةَ المسيح – تعالى الله– دليلٌ على صحة الكتاب المقدس وعصمته. وهذا الاستدلال لا يمكن أن يستقيم؛ لعدم صحة ما يُستدل به؛ فقد ظهر معنا الخطأ والتحريف في نص التثليث، والتناقض الذي يقع بين هذا النص والنصوص الأخرى في الرواية المقررة منذ مجمع نيقية؛ فضلاً عن تعارضها مع غيرها من الأناجيل غير المعتمدة.

ويظهر إعمال هذا البرهان في معارضة العقيدة الإسلامية في مقتل المسيح –عليه السلام– فيقول أحدهم: "**يفتكر البعض أن أحد تلاميذ المسيح مات مكان المسيح، لكن الكتاب المقدس يقرر أن المسيح هو الذي مات نيابة عن التلاميذ، بل ونيابة عن الملايين من المؤمنين به**"(١)؛ لكنه فاته أن المنهج العلمي الذي يستخدم في ثبات صحة الرواية يوافقه القرآن بنسبة ١٠٠٪، بينما الإنجيل لا يتفق وأصول النقل العلمي.

والنتيجة التي نخلص إليها مما سبق أن المنهجية التي يتبناها الجدل النصراني المعاصر في قبول الروايات التاريخية ورفضها لا ضابط لها، كما أنها لا تقوم على أساس علمي يقصد إلى استقراء كافة الحقائق عن تاريخ الأناجيل، والنظر بعين التاريخ المجردة ليستقيم له هذا الاستدلال، فضلاً عن أن يكون العقل النصراني مستعداً للإذعان للحقائق ولو كانت تذهب به إلى خلاف ما اصطلحت عليه المجامع الدينية من إقرارات وعقائد؛ ولذا فإنه –وفقاً للمنهج العلمي– لابد لهم من الإقرار بأن النصرانية لا يمكنها أن تثبت عقائدها من باب التاريخ، كما لم تستطع برهنتها بطريق العقل على ما أسلفنا بيانه في المبحثين السابقين.

وهنا تحسن الإشارة إلى أن بطلان الاستدلال التاريخي للمسيحية نما حتى من داخل الفكر الفلسفي المسيحي، كما في جهود إرنست ترولتش، وديفيد شتراوس وغيرهم(٢)، الذين صرحوا بأنه لا يمكن الاستدلال ليسوع الرب من جهة التاريخ مطلقاً. وقد اضطر بعض المتبنين للجدل النصراني المعاصر إلى الإقرار بأن "**نصوص العهد الجديد من وجهة النظر**

(١) الكفارة في المفهوم المسيحي، ص٤٤.

(٢) انظر في هذا: علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله، ص٢٧١، ٢٩٦، ٣٥٥.

التاريخية المحض، تفسح في المجال للتفسير الذي ذهب إليه آباء الكنيسة وأُدرج في قانون الإيمان. ويبقى في النهاية حول هذه النصوص سرٌّ لا يمكن الوصول إليه من وجهة النظر التاريخية المحض، ولا ينكشف لنا إلا عندما نقرأ النصوص الكتابية مع الكنيسة في ضوء التقليد الكنسي، كما عبر عنه اعتراف الإيمان الكنسي"(١)، بمعنى أن يكون الإيمان هو المقدمة للقراءة التاريخية؛ وحينئذ تنتفي الفائدة من الاستدلال بالتاريخ، بل هو إقرارٌ بتعذر هذا النوع من الاستدلال. وفي هذا يقول أحد المنتقلين عن المسيحية إلى الإسلام: **"وقد اكتشفت بعد سفري منذ سنوات بعيدة أن جميع الطوائف الدينية والمذاهب الفكرية في الغرب متفقة على تحريف النص، وليس كما يزعم النصارى العرب أن التشكيك في أصالة نص الكتاب المقدس ما هو إلا ادعاء إسلامي. وقد ترك النقاد أمر الجدل في إمكان التحريف –بعد أن أصبح مسلمة تاريخية– إلى مواجهة سؤال جديدٍ هو: هل بالإمكان استعادة النص الأصلي للعهد الجديد (الإنجيل) بعد التحريفات التي أصابت النص على مدى قرون مديدة؟"**(٢)، ويقول مُقدّمُ كتاب استعادة النص الأصلي للإنجيل بأن **"هنالك ٣٠٠٠٠ قراءة مختلفة لإنجيل لوقا، ثم يضيف قائلا: إن هناك ٨١ قراءة مختلفة للصلاة الربانية. والقراءة هنا تعني الزيادة والنقصان والتغيير"**(٣).

وهكذا يظهر جلياً فشل الجدل النصراني المعاصر في البرهنة التاريخية –كما فشل في الاستدلال البرهاني والخطابي– على الفرَضيتين الرئيستين في الاعتقاد المسيحي وهما: (حقيقة المسيح بين التثليث ودعوى الألوهية) و (صحة الكتاب المقدس) . وهو المقصود بيانه من خلال هذا البحث.

والله تعالى أجل وأعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ عدد كل شيء وملء كل شيء.

---

(١) المسيحية في عقائدها، ص٢٠١.

(٢) استعادة النص الأصلي للإنجيل، ص ١٠.

(٣) نفسه، ص٩.

الخـــاتمــة

خلص البحث إلى عدد من النتائج أهمها:

١. أن الأصل المعرفي الذي تفرع عنه خطأ الجدل النصراني المعاصر هو تنكرهم لقواعد العقل السليم، وفصلهم بين الإيمان والعقل، إذ لا يستقيم أحدهما دون الآخر. والأصل القيمي الخلقي الذي تفرع عنه الجدل النصراني هو الإصرار على الكذب وتجاهل الحقائق.

٢. خروج الجدل النصراني المعاصر عن القواعد المنطقية العقلانية التي يزعم احتكامه إليها؛ لغياب البدهيات التي تسند عقيدته في حقيقة المسيح وعصمة الكتاب المقدس، فقد وقفنا على وقوعه في التناقض بل ومحاولة تبريره، ووقفنا على جعله النتائج هي ذات المقدمات التي يستدلون بها، ووقوعه في الكثير من المصادرات على المطلوب والاستدلال الدائري المفرغ؛ ولذا بدت محاولاته في فلسفة العقائد تُظهر تأخرَ الدين النصراني الحديث عن الفهم الإنساني الواعي، والإعمال الفلسفي السليم الجاد، الذي يَخضع لقواعد الاختبار والتأكد، ويَنصاع للمنهج العلمي أيًّا كانت نتائجه.

٣. غياب المبررات الخطابية السليمة في الجدل النصراني التي يمكن لها أن تؤثر في قبول هذه الديانة وانتشارها؛ ولذا نرى أنها لم تعد العواطف هي السبب الكلي الذي يمكن أن نرد إليه التمسك بالنصرانية، لاسيما في أجواءٍ لم يعد فيها مجرد الإيمان حجة مقنعة.

٤. ضعف المنهجية التي يُعمل بها الجدلُ النصراني التاريخَ ويستثمره لصالحه واضطراب أسسها؛ ذلك أن التاريخ يتطلب الاتساق وتتابع السياقات وإنتاج النظرة الكلية، وهذا ما لا يمكن للخطاب النصراني المعاصر السير معه إلى مداه الأقصى؛ نظراً لما قد يعتري ذلك من الحاجة الملحة للإجابة على عددٍ من الإشكالات المنهجية؛ نتيجةً لعددٍ من العوامل، التي ليس أقلها ممارسة بعض الأتباع للتحريف من جهة، وكتمان الحق من جهةٍ أخرى.

٥. حاجة النصرانية إلى تمحيصٍ حقيقي عادل من قبل علمائها، يتسق مع بدهيات العقل، ويتفق مع المنهج العلمي.

٦. انحراف النصارى اليوم عن النصرانية الحقة، التي هي دين سماوي غايته الدعوة إلى التوحيد، وهو الأمر الذي أوقعهم في هذه الإشكالات المنهجية، التي نرجو للنصارى المعاصرين الهداية من خلال تأملها، والجزم بأن دين الله تعالى لا يمكن أن يكون بهذا الاضطراب.

٧. لو اتسق الجدل النصراني المعاصر مع ضرورات العقل ومقتضيات المنهج العلمي لتوصلوا إلى الإسلام.

التوصيات:

- نحتاج إلى المزيد من الدراسات الاستغرابية؛ للغوص في أسباب طغيان الوثنية على النصرانية؛ إذ بالرغم من الأصول الشرقية للنصرانية إلا أنها سُلبت وتحولت؛ وهذا يحتاج لدراساتٍ علميةٍ رصينةٍ غرضها الحقيقة.
- على المتخصصين في علم الاعتقاد التعمق في تحليل أنواع الأدلة التي يستند إليها الجدل النصراني المعاصر، والوصول لكتاباتٍ أوسع في بيان حقيقة النصرانية الحالية.
- على الدعاة إلى الإسلام المستهدفين للأمم النصرانية استيعاب طرق الاستدلال ودراستها ليَسْهل الإقناع ودفع الشبهات.



المـــراجـــع

١. القرآن الكريم.

٢. اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، د.ط، دار التنوير، ٢٠٠٨م.

٣. آنكربرغ، جون – جون ويلدن، دليل البراهين الكتابية، ط١، مركز مورغان للنشر والإعلام، ٢٠١٦م.

٤. بأول، إينوك، تطور الإنجيل المسيح ابن الله أم ملك من نسل داود؟، ترجمة أحمد ايبش، ط١، دار قتيبة دمشق- بيروت، ٢٠٠٣م.

٥. بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٦. بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، تقديم: محمد العجرودي، ط١، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤م.

٧. تلش، بول، تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهلينستية واليهودية حتى الوجودية، ترجمة: أ.د. وهبه طلعت أبو العلا، د.ط، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، ٢٠١٢م.

٨. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٩. الحايك، منذر، إنجيل برنابا دراسة مقارنة، ط٢، دار صفحات للنشر والتوزيع، سوريا- الإمارات، ٢٠١٩م.

١٠. رياض، يوسف، أرني أين قال المسيح: أنا هو الله فاعبدوني؟، د.ط. مكتبة الأخوة، مصر، د.ت.

١١. رياض، يوسف، الكفارة في المفهوم المسيحي، د.ط، دار الإخوة للنشر، مصر، د.ت.

١٢. رياض، يوسف، ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، د.ط، دار الإخوة للنشر، مصر، د.ت.

١٣. رياض، يوسف، وحي الكتاب المقدس، مكتبة الأخوة، مصر، د.ت.

١٤. زكار، سهيل، الأناجيل النصوص الكاملة، ط١، دار قتيبة، دمشق-سوريا، ٢٠٠٨م.

١٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٦. سمعان، عوض، الله وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، د.ط، مكتبة الأخوة، مصر، د.ت.

١٧. سمعان، عوض، إنجيل برنابا إنجيل مزيف، ط١٠، دار النشر الأسقفية مصر، د.ت.

١٨. عامري، سامي، استعادة النص الأصلي للإنجيل في ضوء قواعد النقد الأدنى إشكاليات التاريخ والمنهج، ط١، مركز الفكر الغربي، الرياض، ١٤٣٨ه- ٢٠١٧م.

١٩. عزمي، أشرف، المسيح من هو؟ طبيعة شخصه وعمله الكفاري، ط١، رؤية للطباعة، القاهرة، ٢٠١٩م.

٢٠. القرني، خالد محمد، الموقف القرآني من التوراة والإنجيل باعتباره أساساً للتعايش سورة المائدة أنموذجاً: دراسة وصفية تحليلية نقدية، مجلة العلوم الشرعية- جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ٥٨، ١٤٤٢ه.

٢١. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت.

٢٢. القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة بإشراف الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٣. كاسبر، فالتر، إله المسيحيين، من سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، تعريب: المطران يوحنا منصور،ط١، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٤. كلر، تيموثي، منطقية الإيمان بالله دعوة مفتوحة إلى كل متشكك، ترجمة: ماجد صبحي، ط٢، أوفير للطباعة والنشر عمان-الأردن، ٢٠١٩م.

٢٥. كلهون، سمعان، اتفاق البشيرين، راجعه ونقحه: القس منيس عبد النور، د.ط، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، مصر، د.ت.

٢٦. ما كآرثر، جون، الكلمة المعصومة آفاق كتابية وتاريخية ولاهوتية ورعوية مع ترجمة جديدة لبيان شيكاغو حول عصمة الكتاب المقدس، كوكبة من كبار اللاهوتيين المعاصرين تقديم: روبرت تشارلز سبرول ترجمة: صموئيل ن. صليب، المحرر المسؤول: القس أشرف بشاي، ط١، الناشر في العربية: كلام الحياة الأبدية، د.ت.

٢٧. الماجدي، خزعل، علم الأديان تاريخه مكوناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله، ط١، مؤمنون بلا حدود، المغرب-لبنان، ٢٠١٦م.

٢٨. الماجدي، خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ط١، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، المغرب- لبنان، ٢٠١٤م.

٢٩. ماكدويل، جوش. برهان جديد يتطلب قرارا جريئا، ط٢، هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة مطبعة سيوبرس، ٢٠١٧م.

٣٠. مجلس أساقفة كنيسة ألمانية، المسيحية في عقائدها، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم ترجمة كيرلس سليم بسترس، ط٢، منشورات المكتبة البولسية، بيروت-لبنان، ٢٠١١م.

٣١. المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ه.

٣٢. ميخائيل، برسوم. موسوعة الحقائق الكتابية، د.ط، مكتبة الإخوة، مصر، د.ت.

٣٣. نيوتن، إسحاق، وصف تاريخي لتحريف نصين مهمين من الكتاب المقدس (التثليث والتجسد)، ترجمة وتعليق: هيثم سمير، ترجمة: هبة حداد-أحمد شاكر، ط١، مركز نماء للبحوث والدراسات، لبنان-السعودية، ٢٠١٦م.

٣٤. ويصا، ديفيد، الكتاب المقدس بلا رتوش محاولة لفهم طبيعته وإشكالياته، ط٢، دار النشر الأسقفية، مصر، د.ت.

٣٥. يافيه، حافا لازاروس، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ترجمة: محمد طه عبد الحميد مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م.

